الجزء ١ المجلد ١٠



(دمشق) : كانون الثاني سنة ١٩٣٠ م الموافق شعبان سنة ١٣٤٨ ه

جامع التواريخ

المسمى بكتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة

— جزؤه الثامن —

« كلمة المجمع »

كتاب نشوار المحاضرة او جامع التواريخ تصنيف القاضي ابي علي المحسّن بن علي التنوخي المتوفى سنة ٣٨٤ ه من أمثل ما ألفه الاخباريون في التاريخ والتراجم والاجتماع الاسلامي . وربما كان هذا المصنف نسيج وحده في موضوعه . فهو لم يسرد وقائع التاريخ واخبار رجاله كما سرده غيره وانما هو املى من خاطره اخبار الذين عرفهم في حياته من طبقة الوزراء والقضاة وكبار الكتاب والعمال الذين هم صفوة رجال الدولة العباسية في القرن الرابع للهجرة .

ونكتفي بهذا القدر من التعريف بالكتاب — لما ان مجمعنا ومجلته واعضاءه قد وفوه حقه من التقريظ والتعريف عند ظهور جزئه الاول الذي نشره المستشرق المشهور العلامة الاستاذ مرجليوث احد اعضاء

مجمعنا . وكان ظفر بهذا الجزء في خزانة الكتب الوطنية بباريز منقولا عن نسخة كتبت سنة ٧٣٠ هـ فاعتني بتصحيحه وطبعه بمطبعة هندية بمصر سنة ١٩٢١ م . في ثلاثمائة وصفحتين وقد اهدى نسخة منه الى مجمعنا. فكتب عليها الاستاذ رئيس المجمع تقريظاً نشر في مجلد السنة الثانية من مجلة المجمع الصفحة ١٨٩ ، واستخرج منه الاستاذ المغربي احد اعضاء المجمع محاضرة بعنوان (صفحة من تاريخنا الاجتماعي) القاها في ردهة المجمع في ١٥ كانون الاول سنة ١٩٢٢ م وقد نشرت في مجموعة محاضرات المجمع (جزء ١ ص ٣١٣) وكتب العلامة الاستاذ احمد تيمور باشا احد اعضاء المجمع عدة مقالات بعنوان (تفسير الالفاظ العباسية في نشوار المحاضرة) استخرجها من الجزء الاول المذكور ونشرت في مجلدي السنتين الثانية والثالثة من مجلة المجمع . كما بحث الاستاذ المغربي في تلك الالفاظ العباسية الواردة في الجزء الاول المذكور من جهة ثانية غير الجهة التي بحث فيها الاستاذ تيمور باشا ووضع ثلاث مقالات بعنوان (طاقة ازهار من كتاب النشوار) نشرت في مجلد السنة الرابعة من مجلة المجمع . ومن تتبع ما ذكرناه من تعاليق رئيس المجمع واعضائه على الجزء المذكور من (نشوار المحاضرة) ادرك قيمة هذا الكتاب وعرف شرف موضعه من مصنفات التاريخ والادب في الاسلام . وأسف ان لا يعثر على غير هذا الجزء من (النشوار) والجزء الثاني الذي في مكتبة الاستاذ احمد تيمور باشا ، وتمنى لو برز الى حيز الطباعة والنشر شيء من اجزائه الاخرى التي تبلغ احد عشر مجلداً . ومضت بضع سنين ونحن وغيرنا نتحدث عن كتاب النشوار ونتساءل

عن بقية اجزائه وهل عثر على شيء منها ، واذا المستشرق الكبير نفسه « الاستاذ مرجليوث » يرسل الينا الجزء الثامن من النشوار ويقول انه ظفر به مخروم الاول في المتحف البريطاني بارشاد صديقه الاستاذ كرنكو . وانه حقق بعض الفاظه وصحح بعضاً وترك تصحيح الباقي الى اعضاء المجمع . فهو يرغب اليهم ان ينشروه تباعاً في مجلتهم ثم يفردوه على حدة في كتاب . فلبوا طلب الاستاذ . مرجليوث وقرروا في جلستهم المنعقدة في ١٧ تشرين الاول سنة ١٩٢٩ امر تصحيحه وطبعه في المجلة ثم نشره في كتاب على حدة كما اقترح الاستاذ وألفوا لجنة منهم اخذت على عاتقها بذل الجهد في تصحيحه وتحقيق كلماته وتفسيرها والتعليق على ما أبهم منها . ثم شرعت اللجنة في العمل فحققت معظم ما كان يقع تحت نظرها من الكلمات وشرحت كثيراً من مواضع الابهام والغموض . لكنها كانت احياناً تصطدم بجمل وتعابير تقف عندها موقف الشبهة والريب ولا تهتدي الى حلها فتتركها على حالها وتكتفي بالتنبيه عليها . ولم يرسل الاستاذ مرجليوث الينا بالنسخة الاصلية التي ظفر بها وانما ارسل نسخة عنها بخطه وعلق عليها تعاليق اثبتناها له في الذيل غير معزوة اليه . اما تعاليق لجنة المجمع فقد صدرناها بحرفي « م . ع » تمييزاً لها عن تلك .

وفي الكتاب هنات كان يجب حذفها لولا ان الناس يحبون ان يروا الكتاب على ما ألفه صاحبه عليه فرأينا اثباتهـا رعاية لامانة النقل . لكننا جعلنا فيها حرف اللام بدلا من الكاف واعتمدنا في فهمها على نباهة القارئ ولم نضع البسملة في فاتحة الكتاب حتى لا يتوهم متوهم ان ما بعدها هو اول الكتاب وقد اسلفنا ان هذه النسخة مخرومة

مقدمة المصحح

« الاستاذ مرجليوث »

اخبر ياقوت الرومي في ترجمة القاضي ابي علي المحسّن التنوخي (١) ان له كتاب نشوار المحاضرة اشترط فيه انه لا يضمنه شيئاً نقله من كتاب . أحد عشر مجلداً كل مجلد له فاتحة بخطبة — قال غرس النعمة صنف ابو علي المحسن كتاب نشوار المحاضرة في عشرين سنة اولها سنة (٣٦٠) اه. واول مجلد منه نشرناه في سنة ١٩٢١ عن نسخة في مكتبة باريس العمومية وبذل البحاثة الشهير احمد باشا تيمور جهده في تفسير ما ورد فيه من الغريب فنشر ثمرات افكاره في المجلدين الثاني والثالث من مجلة مجمعنا العلمي العربي في دمشق. وقد اخبرنا ان عنده نسخة من الجزء الثاني. ومنذ سنتين نبهني صديقي المستشرق كرنكو على وجود خط (٢) في المتحف البريطاني رقمه (٩٥٨٦ شرقي) تتعلق مضامينه بتجارب الامم لمسكويه (٣) وهو غير معنون ولا مؤرخ لذهاب صدره وانما يذكر عند الانتهاء انه الجزء الثامن فطالعت الخط فوجدت المصنف يقول في مقدمته :

« ارجو ان يكون ما كتبته خيراً من موضعه لو بيضته كما اسلفت في الاجزاء السالفة من العذر وخبرته »

وتشبه هذه الجملة ما ورد في مقدمة الجزء الاول من النشوار (٤) « فلو

« ١ » ارشاد الاريب ٦ : ٢٥١ « ٢ » « م.ع » اي مخطوط « ٣ » « م . ع » المعروف ان تجارب الامم لابن مسكويه . « ٤ » ص ١١

لم يكن فيه الا انه خير من موضعه بياضاً لكانت فائدة ان شاء الله »

ثم وجدت في معجم البلدان لياقوت (١) حكاية طويلة في اشتقاق اسم نهروان منسوبة لابي علي التنوخي في « نشوانه » وهي في خطّنا لفظاً بلفظ . وفي ارشاد الاريب لياقوت (٢) حكاية منقولة عن كتاب ابي علي التنوخي وهي ايضاً في الخط (٣) ثم دلني صديقي كرنكو على موضع من كتاب بدائع البدائه لابن ظافر (٤) يقول فيه : وذكر القاضي ابو علي التنوخي في كتاب النشوان قال حدثني ابو طاهر الخ والحكاية في خطنا (٥)

ثم وجدت في الكتاب دلائل تدل على ان المؤلف هو المحسن التنوخي : منها ذكر مولى ابيه الذي اسمه مبشر وهو مذكور في الجزء الاول ايضاً والتاريخ ٣٦٣ وروايات وردت في كتاب الوزراء لهلال منسوبة لابي الحسين علي بن هشام المعروف ابوه بابي قيراط صدرها مؤلف النشوار بالعبارة : « حدثني » وجعل هلال مكان ذلك « حدثنا » ولا يبقى شك في ان الجزء الثامن المذكور هو الجزء الثامن من نشوار المحاضرة

وعدد اوراق الخط ١١١ تحتوي الصفحة منها على ١٥ سطراً . ولم احذف شيئاً فان المؤلف لم يخل بالادب في هذا الجزء الا نادراً.

ولما علمني الاختبار ان المترجم يلفت نظره ما يذهب عن غيره رأيت ان ابدأ بترجمة الكتاب الى اللغة الانكليزية ، قبل الاقدام على

« ١ » ٤ : ٨٤٧ « ٢ » ٥ : ٤٤٤ « ٣ » ص ١٠٦ من الاصل . « ٤ » بهامش معاهد التنصيص « مصر ١٣١٦ » ٢ : ٢٢ « ٥ » ص ٧٠ من الاصل

نشر اصله ،فصارت الترجمة تصدر فى مجلة تظهر في حيدر اباد دكن اسمها The Islamic Review وقد آن ان اقدم الاصل العربي الى اعضاء المجمع العلمي راجياً منهم المسامحة اذا زلت القدم وداعياً لهم بدوام النعم.

د . س . مرجليوث

***

وهذا هو الجزء الثامن من كتاب نشوار المحاضرة نبدأ بنشره من أوله المخروم ونثبته كما هو فيما يلي :

. . . .

. . . .

اكثرها قولا وتغيراً العوائد فى اخلاق اكثر العالم ومعاملاتهم ورسومهم فتلقطت هذا الفن واثبته وخلطت به ما حدث وتحدث (١) من مليح شعر لمن ضمنا واياه دهر ممن لم يخلق شعره بالاشتهار ولا بشمه الناس بالاستكثار ومن رسالة غريبة او فائدة ادبية او حكم جديدة او ما يغلب على ظني من اشباه ذلك — وان قدم — انه لم يدون او منام طريف او حادث عجيب او رسم غريب او مستنبط مفيد قريب ليعرف الفرق بين الامرين والتباين فى الحالين ويهش لذلك من قد فرغ من الآداب والعلوم وسبر اكثر الافهام والحلوم وقوم (٢) الى معرفة اسرار الامور والعادة فى الجمهور والتدبيرات والاختيارات والملح في جميع الحالات التي لا يكشفها له الفكر الا في الطويل من العمر واذا وقفت (٣) عليها من ها هنا قربت من يديه وخف تناولها عليه ولم اجعل ذلك مرتباً على ابواب لملل واسباب قد ذكرتها فيما قبل هذا واوردت فيه جمل هذا القول وشرحت في رسالة كل جزء ما يغني عن الاطالة فيها ويوضح المغزا (٤) ويقوم بالعذر وارجو ان لا اكون مذموما عما جمعته ان لم احمد على ما صنعته وان يكون ما كتبته خيراً من موضعه لو بيضته كما اسلفت في الاجزاء السالفة من العذر وخبرته ان شاء الله .

«١» م ع لعل صوابه ويحدث «٢» لعله قوم «٣» لعله وقف «٤» «م ع» كذا في الاصل

حدثني ابو الحسين علي بن هشام بن عبدالله الكاتب البغدادي المعروف ابوه بابي قيراط كاتب ابن الفرات قال سمعت ان ابا القاسم كان اذا خلا وتذكر امر الآخرة وما هو منقطع (١) عنها من امر السلطان يقول اللهم لا تخرجني من الصدر الى القبر لا فرجة لي بينهما . قال ابو الحسين فاجيبت دعوته وجلس في منزله قبل موته نحوا من سنة تائباً من التصرف تاركا الطلبه فلما اعتل علة موته جاءته رسالة الراضي يستدعيه ليقرر معه امر الوزارة وبوليه اياها فقال : آلآن !! لئن كان قبل مدة لعله لو جاءني هذا الامر وانا تائب لما رددته ولعلي كنت انقض التوبة فالحمد لله الذي لم يتم علي ذلك .

حدثني (٢) ابو الحسين قال اقرأني ابو عبدالله احمد بن محمد الحكيمي (٣) كتابا بخط علي بن عيسى واخبرني انه كتبه اليه في وزارته الاخيرة وهو يتقلد له طساسيج (٤) طريق خراسان يحثه على حمل المال ويستحثه قال قد كنت اكرمك الله عندي بعيداً من التقصير غنياً عن التنبيه والتبصير راغباً فيما خصك بالجمال وقدمك على نظرائك من العمال واتصلت بك ثقتي وانصرفت نحوك عنايتي ورددت الجليل من العمل اليك واعتمدت في المهم عليك ثم وضح لي من اثرك وصح عندي من خبرك ما اقتضى استزادتك وردفه ما استدعى استبطاءك ولا تمتك وانت تعرف صورة الحال وتطلعي مع شدة

« ١ » لعله سقط « به » « ٢ » راجع كتاب الوزراء لهلال ص ٣٣٩ . « ٣ » عند هلال (الحليمي) « ٤ » م.ع الطساسيج لاهل الاهواز كالمخاليف لاهل اليمن والكور لاهل العراق والطسوج ايضاً ربع الدانق

الضرورة الى ورود المال وكان يجب ان تبعثك العناية على الجد في الجباية حتى تدر حمولتك (١) وتتوفر ويتصل ما يتوقع وروده من جهتك ولا يتأخر فنشدتك الله لمّا تجنبت مذاهب الاغفال والاهمال وقرنت الجواب من كتابي هذا بمال تبتزه من سائر جهاته وتحصله وتبادر به وتحمله فان العين اليه ممدودة والساعات لوروده معدودة والعذر في تأخره ضيق وانا عليك من سوء العاقبة مشفق والسلام

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابو عبد الله بن علي الباقطائي (٢) قال حدثنا ابو جعفر احمد بن اسرائيل قال : كان سبب رفعة عبيد الله بن يحيى طاب المتوكل لحدث من اولاد الكتاب يوقع بحضرته في الابنية والمهمات لانه كان قد اسقط الوزارة بعد صرف محمد بن الفضل الجرجاني (٣) واقتصر على اصحاب الدواوين وامرهم ان يعرضوا الاعمال بانفسهم وجعل التاريخ في الكتب باسم وصيف التركي وانتصب منصب الوزارة وان كان لم يسم بها . فاسمى له جماعة فاختار عبيد الله من بينهم فحضر اول يوم فصلى في الدار ركعات وجلس وعليه قباء وسيف ومنطقة وشاشية على رسم الكتاب قال ابو الحسين لانه لم يكن احد يصل الى الخليفة الا بقباء وسيف ومنطقة من الناس كلهم الا القضاة لا في موكب

« ١ » عند هلال (ترد حمولك) ٢٢ «م . ع » : قال ياقوت في المعجم باقطايا ويقال باقطيا من قرى بغداد ينسب اليها الحسين بن علي الكاتب الاديب ذكرته في كتاب معجم الادباء . « ٣ » الصواب الجرجرائي

ولا غيره فاذا كان يوم موكب كانت الاقبية كلها سوادا واذا كان غير يوم موكب فربما كانت من بياض وفي الاكثر سوادا . فلما صلى عبيدالله وجلس لم يجتز به احد من الحاشية كبير ولا صغير الا قام اليه قائماً وسلم عليه حتى قام الى رئيس الفراشين . فرآه بعض الحاشية فقال من هذا الشقي الذي قد قام لسائر الناس حتى قام الى الكلاب؟فقيل له فلان .ثم اذن له المتوكل لما خلا فدخل اليه وكان على رأسه قلنسوة سوداء شاشية وكان طويل العنق فظهرت عنقه فلما رآه المتوكل اومى بيده الى قفاه ومسحه شبه صفعة فاخذ عبيدالله يده فقبلها . فنفق عليه وخف على قلبه وسر بذلك واستخف روحه وقال له اكتب فكتب وهو قائم (انا فتحنا لك فتحاً مبينا) الى قوله عز وجل (وينصرك الله نصراً عزيزا) فكتب (وينصرك يا امير المؤمنين نصراً عزيزا) فزاد ذلك في تقبل المتوكل له وتفاءل بذلك وقال له الزم الدار فكان يلزمها منذ السحر والى وقت نوم المتوكل في الليل . وقوي امره مع الايام حتى صار يعرض الاعمال كما كان الوزراء يعرضونها وليس هو بعد وزير .والتاريخ لوصيف. فامره المتوكل في بعض الايام ان يكتب نسخة في امر الابنية فقال نعم فلما كان بعد ساعة سأله هل كتبت؟ فقال لم يكن معي دواة فقال اكتب الساعة فاستحضر دواة وكان ايتاخ الحاجب قائماً يسمع ذلك فلما خرج عبيدالله قال له انما طلبك امير المؤمنين لتكتب بين يديه فاذا حضرت بلا دواة فلأي شيء تجيء ؟فقال له عبيدالله واي مدخل لك انت في هذا ؟ انت حاجب او وزير ؟فاغتاظ من ذلك فامر به فبطح وضربه على رجليه عشرين مقرعة وقال

انه الآن علمت ان لي فيه مدخلا . فلم يتأخر عبيدالله عن الخدمة وعاد فجعل يمشي ويمرج. فسأل المتوكل عن خبره فعرف الصورة فغاظ عليه ذلك وقال انما قصده ايتاخ لمحبتي له . وكان قد اجتمع في نفس المتوكل من ايتاخ العظائم مما كان يعمل به في ايام الواثق ولا يقدر له على نكبة لتمكنه من الاتراك فامر بان يخلع على عبيدالله من الغد وان لا يعرض احد من اصحاب الدواوين عليه شيئاً وان يدفعوا أعمالهم اليه ليعرضها واجرى له في كل شهر عشرة آلاف درهم .فندم ايتاخ على ما فعله وجعل يداري عبيد الله ويثاقفه (١) وقوي امر عبيدالله حتى حذف بنفسه من غير امر اسم وصيف من التاريخ واثبت اسمه. ثم امر له المتوكل برزق الوزارة ثم خوطب بالوزارة بعد مديدة وخلع عليه ثم قلده كتابة المؤيد وخلع عليه وضم المتوكل الى ابنيه بضعة عشر الف رجل وجعل تدبيرهم الى عبيد الله وكان وزيراً اميراً .فلما تمكن هذا التمكن بالجيش والمحل عارض ايتاخ وبطأ (٢) حوائجه وقصده ووضع من كتابه . ولم يزل ذلك يقوى من فعله الى ان دبر على ايتاخ فقتله على يد اسحاق بن ابراهيم الظاهري ببغداد بعد عود ايتاخ من الحج .

حدثني ابو الحسين قال سمعت ابا الحسن علي بن الحسن الكاتب المعروف بابن الماشطة وكان يتقلد قديماً العمالات ثم صار من شيوخ الكتاب وتقلد في ايام حامد بن العباس ديوان بيت المال قال سمعت الفضل وهو يحكي

« ١ » « م.ع » : المثاقفة المنافسة في الحذق والفطانة وادراك الشيء وفعله . ومحاولة اصابة الغرة في مسابقة ونحوها. « ٢ » «م . ع »: المعروف ان ابطأ وبطأ يتعديان بحرف الجر

عن ابيه وهو ابو الفضل بن مروان قال كان في نفس الواثق على محمد بن عبد الملك الزيات العظائم مما كان يعامله به في ايام ابيه فمن ذلك ان المعلم شكا الى المعتصم ان الواثق لا يتعلم فاذا طالبه بذلك شتمه ووثب عليه فأمر المعتصم محمداً بان يضرب الواثق اربع مقارع فخرج محمد واستدعى الواثق وضربه ثلاث عشرة مقرعة حتى مرض. فلما عرف ابوه الخبر انكر ذلك وحلف للواثق انه ما أمر محمدا الا ان يضربه اربع مقارع فاخفاها في نفسه فكان يبغضه وعلم محمد بذلك وكان يقصده في ضياعه واملاكه لما ترعرع وصار اميراً. فوقع المعتصم يوماً ان يقطع الواثق ما ارتفاعه الف الف درهم فحاها محمد وكتب (ما قيمته الف الف درهم) فلما دخل اليه الخادم وعرفه ما عمله محمد وثب الى ابيه وعرفه ذلك وعرض التوقيع عليه فقال له المعتصم ما أغير ما وقمت به وما ارى في التوقيع اصلاحاً. وكان محمد قد اجاد محوه وعلم المعتصم ان رأي محمد في الاقتصاد اصلح فبطل ما كان يريده الواثق وانصرف فقال للخادم قد تم علي من هذا الكاتب كل مكروه فان افضت الخلافة الي فقتلني الله ان لم اقتله . ثم قال له انت خادمي وثقتي فان افضى هذا الامر الي فقتله ساعة اخاطب بالخلافة ولا تشاورني وجئني برأسه قال فمضت الايام وتقلد الواثق فحضر الدار في اول يوم محمد بن عبد الملك مع الكتاب فتقدم الواثق الى الكتاب دونه بان يكتب كل منهم نسخة بخبر وفاة المعتصم وتقلده الخلافة فكتبوا باسرهم وعرضوا ذلك عليه فلم يرضه فقال لمحمد اكتب انت فكتب في الحال بلا نسخة كتابا حسناً وعرضه فاستحسنه وامر بتحرير الكتب عليه ولم يبرح حضرته حتى اقره على الوزارة

وخرج من بين يديه والناس كلهم خلفه . قال الخادم فعجبت من ذلك وقلت تراه أنسي ما كان امرني به ؟ لم لا استأذنه في ذلك واذكره به؟ فتقدمت اليه لما خلا ، واذكرته الحديث واستأذنته فقال ويحك السلطان الى محمد بن عبدالملك احوج من محمد الى السلطان دعه . قال فرقاه الواثق الى ما لم يرقه اليه المعتصم . قال الفضل بن مروان ولا نعلم وزيراً وزر وزارة واحدة بلا صرف لثلاثة خلفاء متسقين غير محمد بن عبدالملك .

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابي قال حدثني وكيع القاضي قال ابو الحسين وقد رأيت محمد بن خلف وكيع وكتبت عنه اشياء كثيرة ليس هذا منها قال كنت اتقلد لابي حازم وقوفاً في أيام المعتضد منها وقوف الحسن ابن سهل فلما استكثر المعتضد من عمارة القصر المعروف بالحسيني ادخل اليه بعض وقوف الحسن بن سهل كانت في يدي ومجاورة للقصر وبلغت السنة آخرها وقد جبيت مالها الا ما اخذه المعتضد فجئت الى ابي حازم فعرفته اجتماع مال السنة واستأذنته في قسمته في سبله وعلى اهل الوقف فقال لي فهل جبيت ما على امير المؤمنين فقلت ومن يجسر على مطالبة الخليفة فقال والله لا قسمت الارتفاع او تأخذ ما عليه ووالله لئن لم يزح العلة لا وليت له عملاً . ثم قال امض اليه الساعة وطالبه فقلت من يوصلني فقال امض الى صافي الحرمي وقل انك رسولي انفذتك في مهم فاذا وصلت فعرفه ما قلت لك فجئت وقلت لصافي ذلك فاوصلني وكان آخر النهار فلما مثلت بين يدي

الخليفة ظن امراً عظيما قد حدث فقال لي هي (١) قل. كأنه متشوف.

فقلت له ان الى عبدالحميد قاضي امير المؤمنين وقوف الحسن بن سهل وفيها ما قد ادخله امير المؤمنين الى قصره ولما جبيت مال هذه السنة امتنع من تفرقته الى ان اجي ما على امير المؤمنين وانفذني الساعة قاصداً لهذا السبب فامرني ان اقول اني حضرت في مهم لا صل. قال فسكت ساعة متفكراً ثم قال اصاب عبدالحميد يا صافي هات الصندوق قال فاحضر صندوقاً لطيفاً فقال كم يجب لك فقلت الذي جبيت عام اول من ارتفاع هذه العقارات اربعمائة دينار قال فكيف حذقك بالنقد والوزن فقلت اعرفهما قال هاتوا ميزانا فجاؤا بميزان حراني حسن عليه حلية ذهب فاخرج من الصندوق دنانير عيناً فوزن منها اربعمائة دينار وقبضتها وانصرفت الى ابي حازم بالخبر فقال اضفها الى ما اجتمع للوقف عندك وفرقه في غد في سبله ولا تؤخر ذلك ففعلت فكثر شكر الناس لابي حازم بهذا السبب واقدامه على الخليفة بمثل ذلك وشكرهم للمعتضد رضي الله عنه في انصافه

حدثني (٢) ابو الحسين علي بن هشام ابي قيراط الكاتب البغدادي قال سمعت ابا الحسن علي بن محمد ابن الفرات يحدث قال كان النهيكي العامل قد لازم ابا القاسم عبيدالله بن سليمان في ايام نكبته فلم يكن لما ولي الوزارة الا الاحسان اليه فقلده بادوريا (٣) وكان لا يتقلدها الا جلة الناس واقد

«١» « م . ع » يقال عند الاغراء بالشيء هي هي « ٢ » راجع كتاب الوزراء لهلال ص ٧٦ . «٣» « م . ع » طسوج من كورة الاستان بالجانب الغربي من بغداد

سمعت اخي ابا العباس (١) يقول انه من صلح لتقلد بادوريا صلح ان يتقلد ديوان الخراج ومن صلح لديوان الخراج صلح للوزارة .قال والسبب في هذا ان المعاملات بادوريا كثيرة مختلفة وانها عرصة المملكة وعاملها يعامل اولاد الخلافة والوزراء والقواد والكتاب ووجوه الاشراف والرعية فاذا ضبط اختلاف تلك العادات وقام بارضاء هذه الطبقات صلح للامور الكبار .قال ابو الحسن فاقام النهيكي يتولى بادوريا نحو سنتين مدة تقلد عبدالرحمن بن محمد بن يزداد لديوان الخراج في ايام عبيدالله ثم مدة ايام (٢) ابي العباس احمد بن محمد بن ابي الاصبغ لديوان الخراج في ايام عبيدالله الى ان طلقت (٣) انا واخي وتقلد ديوان زمام (٤) الخراج وزمام ديوان الضياع وخلفته عليهما فكنا اذا كاتبنا النهيكي في رفع الحساب لم يجبنا ادلالاً لمحله من الوزارة وتعفيه (٥) فانه كان مشهوراً بالعفة واذا كاتبناه في شيء من امور العمل اقل الحفل بكتبنا فلما طالت المدة عليه الححنا عليه بالمطالبة برفع الحساب وشكوناه الى الوزير فوكل به من (٦) داره مستحثاً له في رفع الحساب لعدة سنين فتشاغلت انا بعمل مؤامرة له فلم اجد عليه كثير تأول وحضرنا بين يدي عبيدالله لمناظرته وقد كنت صدرت اول باب من المؤامرة بانه فصل تفصيلاً عن الغلة المبيعة جملته على حسب مايوجبه التفصيل اكثر

«١» معجم البلدان لياقوت ١ : ٤٦٠ «٢» الصواب تقلد «٣» «م . ع» اي تركت . وله شواهد في كتب اللغة «٤» م ع : هكذا جاءت في الاصل «٥» م. ع: كذا في الاصل . ولعل الصواب تعففه : الا ان يكون من قبيل تمطى وتظنى.«٦» عند هلال: من لازمه «م . ع» لعل الاصل داوره.

من الجملة التي اوردها بالف دينار فقال اتتبع. فما زال يتتبع الى ان صح الباب عليه وقال وما هذا (١) غلط الكاتب في الجملة فبدأت اكلمه فاسكتني اخي واقبل على عبيدالله فقال يا ايها الوزير صدق هذا غلط في الحساب فالدنانير في كيس من حصلت . فقال له عبيدالله صدق ابو العباس والله لا وليت لي عملاً يا لص . ثم اتبعت هذا الباب بباب آخر وهو ما رفعه ناقصاً عما كان قدم به كتابه كله في غلة عند قسمتها فلما لاحت عليه الحجة قال اريد كتابي بعينه فبدأت اكلمه فاسكتني اخي ثم قال ايها الوزير يطعن في ديوانك ونسخ الكتب الواردة والنافذة شاهدا عدل . فقال صدق يا عدو الله وامر بسحبه فسحب وما برحنا حتى اخذ خطه بثلثة عشر الف دينار واهلكناه بهذا وما عمل بعد هذا كثير عمل

« للبحث صلة »

«١» عند هلال : وماذا يكون هذا .

درس الآداب العربية الحديثة

« مناهجه ومقاصده في الحاضر »

— نظر واقتراح —

Etude de la littérature arabe nouvelle
ses méthodes et ses buts actuels

مضى عليّ ردح من الدهر يزيد على ربع قرن وانا مجد بقدر الامكان في درس الآداب العربية الجديدة من اول القرن الحالي . وقد تحملت في درسه هذا صعوبات جمة اما خارجية عن الموضوع واما داخلة فيه ولست أعرف أيها كان اكبر عقبة لدرسي ونشاطي . منها بُعدي وانقطاعي عن ينابيع هذه الآداب الحية اي البلاد التي اهلها وحدهم خزنتها ومادتها فاني لم أزر اما كن النهضة العربية الأدبية أعني الشام ومصر الا مرة في حياتي منذ عشرين سنة وقطعت الحروب مواصلاتنا بتاتاً من سنة ١٩١٥ الى سنة ١٩٢٥ تقريباً . وما وصلني طول هذه المدة من المطبوعات والرسائل لا يروي غليلاً ولا يغني فتيلا . وهذا ما دعاني لان أعتمد في درسي على خزائني الخاصة فقط وقد جمعتها بكدّ النفس وصرفت عليها من كدّي مصاريف ليست قليلة ومع هذا فهي لا تغني عن الخزائن الشهيرة في بلاد العرب ولا سيما معاشرة أفاضلها وأساتذتها وهم انفسهم تاريخ هذه الآداب ولا يستعاض عنهم بالكتب والمخطوطات . والصعوبة الثانية ناشئة من الآداب العربية ذاتها وهي قلة العناية بتاريخها العلمي وندرة الأبحاث المخصصة لها وعدم الطبعات المحصصة لتآليف جهابذتها وأركانها مشفوعة بالحواشي والشروح الموضحة للموضوع من كل وجه على العادة الجارية في اللغات الاوربية . ومهما يكن من الامر وعلى الرغم من هذه الصعوبات التي لا محل لتدوينها برمتها هنا فلم آلُ جهداً في بحثي ودرسي راجياً ان ينتفع بثمار أتعابي من يسير على آثاري .

ولقد تراكمت لديّ في هذه المدة بعض الملاحظات والأفكار التي لها علاقة بمنهج درس الآداب الحديثة ولا سيما في الشرق العربي وأردتُ الآن ان أطرحها على بساط

البحث كما يقولون لينظروا فيها بعيني الانتقاد من هم أقدر مني من أصحاب الامر . فصاحب البيت بالطبع أدرى بما فيه من المتطفل مثلي على مائدته .

ولسائل ان يسألني لماذا أتكلم في الآداب الحديثة فقط وأفرق بينها وبين القديمة او المدرسية حسب الاصطلاح الجديد المصيب . فأجيب على هذا السؤال ليس الفرق بينهما في منهج درسها لان عامة الآداب في كل الامم القديمة المنقرضة او الجديدة الحية يجب ان يكون درسها على طريقة واحدة وحسب منهج علمي واحد . وهذا مما لا يشك فيه من له أدنى إلمام بحالة الدروس الادبية في الغرب . وعليه فلا أفيض في الآداب العربية المدرسية لان درسها قد أصبحت طريقه مهيعاً فلا خوف عليه من الضلال والاضمحلال في الغرب او في الشرق . فترى في كل البلاد المتمدنة خزائن الكتب والمخطوطات المرتبة المنظمة . والقاهرةُ او بيروت اودمشق من أحسن الدلائل على علو الهمم في ادارة الامم . وقد جمعت هذه المجموعات طرفاً حسناً من تراث اجدادهم ورتبته أحسن ترتيب . اما فهارس المخطوطات فقد صارت تطبع في بلاد بعيدة عن هذه الأمصار التي لها الرياسة في النهضة الادبية . وقد رأينا فهرست مخطوطات الموصل لداود الچلبي الذي لم يكن يخطر على بال احد صدوره منذ عشرين سنة . ومن جهة الأبحاث المخصصة لا تضعف همة الشرقيين والغربيين بل هم يتنافسون فيها نعم التنافس ولا حاجة الى ذكر الأمثال التي تبشر بالمستقبل الحسن لهذه الدروس . وكُتُب طه حسين عن الأدب الجاهلي وعبد العزيز الميمني في ابي العلاء بين أيدي محبي الآداب القديمة . اما الآداب الحديثة فلا نرى عناية لائقة بها ولا اهتماماً بجمع مآخذها وموادّها في الغرب ولا في الشرق . ولا يهم هذا كل محب للشعب العربي بل يحزنه وينذره بخطورة الحال لان الفرصة التي تفوت لا ترجع مدى الدهر مرة أخرى .

ولسائل ان يسألنا سؤالاً ثانياً هل يجوز إفراد طور مخصوص نسميه طور الآداب الحديثة وهل هو الا صلة للأطوار المتقدمة ولا فرق بينهما . ويحق له ان يسأل ذلك لان تفريق الأطوار في حياة كل فرد او مجتمع او فكر شيء خطر . وكل طور يتصل باخيه بطريق خفي وبخيوط لا ترى ولا حدّ محسوس بين طور وطور وقد قلنا سابقاً انه لا فرق بين مناهج درسه . ومع ذلك فانا لا نرى انساناً او نباتاً يشبه نفسه في أطواره

المختلفة تمام المشابهة وعليه فلا مندوحة لتقسيم حياته الى أطوار كما لا مندوحة لأطوار في تاريخ اي شيء كان وان كانت الأطوار بنايات خيالية تبنيها الافكار تسهيلاً للدرس والنظر الإجمالي . ولا يشك احد ان الطور الجديد لا يبتدئ من نقطة محسوسة معينة بل يتدرّج عما قبله تدريجا . وهذا لا يمنعنا من ان نأخذ وقعة تاريخيــة حداً لطور ما ولا سيما اذا كان لهذه الوقعة تأثير ظاهر في الطور القديم . وفي تاريخ الآداب العربية الحديثة نرى وقعة من هذا الجنس وهي حملة الفرنسويين على مصر بقيــادة نابوليون التي جرت على الشرق العربي نتائج جمة منهــا سياسية ومنها اقتصادية ومنها أدبية ووصلته باوربا بصلة لم تنقطع في وقت من الاوقات الى ايامنا هذه . نعم ان المواصلات في الشام وان كانت بدأت مع اوربا قبل القرن التاسع عشر بكثير الا انهــا توطدت بعد فتح المدارس المتنوعة وخصوصاً في لبنان وبيروت . وهذا مايدعونا لان نبتدئ بدور الآداب العربية الحديثة من النصف الاول للقرن الماضي وان لم ننس ما قلنــاه سابقاً من وجوب الاحتياط في تقسيم الاطوار وعن عدم الفرق في مناهج البحث كلها . وسنهتم في بحثنا الآتي بالمسألة من ثلاثة اوجه تكون مصدر أفكارنا وهي اولاً قلة الأبحاث في تاريخ الآداب العربية الحديثة . وثانياً أحوال الابحاث في تاريخ الآداب بين الامم الاخرى . وثالثاً تنوّع المناهج والاساليب لدرس تاريخ الآداب في العلم الحاضر .

ولا حاجة هنا الى وصف احوالــــ البحث في الآداب العربية الحديثة فانها واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار فالاعتناء بها قليل بالنسبة الى درس الآداب المدرسية . ولا غرابة في ذلك فان الانسان في كل زمان ومكان مولع بقديمه اكثر من حديثه فلا يرى هذا جديراً بالدرس كالشيء العادي الذي لاقيمة له وكم رأينا في الشام من البعثات العلمية والاثرية تنقب عن آثار المصريين والاشوريين والحثيين ولم نر الا نزراً قليلاً منها خاصاً بآثار الدور الاسلامي وهذا ما نراه في دروس الآداب . ولا فرق في ذلك بين الشرق والغرب . ولا نعرف بين علماء اوربا على كثرتهم وتنوّعهم الا اختصاصياً واحداً درس الآداب الحديثة بكل دقة وإمعان الا وهو مارتين هارتمانـ الالماني المتوفى منذ عشر سنين وقد مضى على آثاره في الدرس صديقه الذي خلفه في منصبه جورج كامفماير الالماني . ولذلك نرى في المانيا من وقت الى آخر مقالات في الجرائد والمجلات لها علاقة

ببعض كتبة العصر او بعض الظواهر الادبية بين أبناء العرب . اما البلدان الاخرى فلا نعرف فيها الا عالماً واحداً ساح وتجوّل في اماكن النهضة الادبية بين العرب وشغف بها وأنفق جانباً من وقته وأتعابه لهذه الصفحة من تاريخ الآداب وهو الاستاذ الشاب جيب الانكليزي . وعلى قلة المهتمين بهذا الموضوع يرى كل ناظر متأمل ان علماء اوربا في النصف الاول من القرن الماضي كانت رغبتهم في معرفة الظواهر الأدبية وتعريفها لعالم العلم والأدب أقوى وأشد فان الاساتذة رينو في فرنسا او فليشر في المانيا لم يفتهما شيء تقريباً من آثار النهضة الأدبية من الجرائد الحديثة العهد في وقتهما او اعمال المجامع المؤسسة حديثاً . فلا غرابة في ذلك فان قلة هذه الآثار على عهدهما سهلت كثيراً تدوينها ونقدها . اما الآن وقد تنوعت وتكاثرت ظواهر الأدب وآثاره فلا يسعنا الا ان نحكم على علماء اوربا ومستعربيها بقلة الاهتمام بهذا الموضوع وهذا ما شكا منه مراراً الاستاذان كامفماير وجيب .

فلو رجعنا بعد ماقلناه الى أحوال درس الآداب الحديثة في بلاد العرب لرأينا صورة وان كانت أحسن مما سبق بقليل لكنها ناقصة من عدة وجوه . ولا ينكر احد ان اللغة العربية حائزة الآن بعض النظرات الإجمالية اولها حسب وقت ظهورها كتاب الأب لويس شيخو في الآداب العربية في القرن التاسع عشر وثانيها الجزء الرابع من تاريخ الآداب العربية لجرجي زيدان وثالثها تاريخ الصحافة العربية لفيليب طرازي ولكل من هذه الكتب فضائل ونواقص هي تحت نظر كل محب لتاريخ الآداب . وقد كُتب عنها مايغني عن الإسهاب في هذا المحل . وربما كان أحسنها ترتيباً وأغزرها مادة تاريخ الصحافة العربية لان صاحبها حدّد الموضوع وأسند كل شيء الى مأخذه . ولا ينقصه الا عدم إتمامه حتى الآن . ولو كمل هذا الكتاب لسدّ ثغراً في معارفنا بيناً . ومن هذا القبيل تكون اللغة العربية أغنى من اللغات الاوربية إجمالاً . اما من جهة الابحاث الخصوصية فهي قليلة وليست على غاية ما يطلبه الآن المنهج العلمي الدارج في اوربا . ولا نستثني من ذلك الا شيئاً يسيراً كأبحاث السيدة (ميّ) عن باحثة البادية وعائشة التيمورية اوتاريخ حياة طاهر الجزائري بقلم محمد كرد علي وغيرها . اما ما بقي من الكتابات فليست الا نظرات انتقادية او تقاريظ دعت اليها الحياة اليومية وهي تزول مع مرور

الايام وان كانت في بعضها مواد للدرس العلمي الخطير التي تفيد بعد البحث العلمي ٠

هذه الأحوال التي نشاهدها في درس الآداب العربية الحديثة تضطر كل عالم باحث يشعر بالتبعة الملقاة على عاتقه الى ان لا يضيّق حيّز بحثه بما تحتوي به اللغة العربية بل يدرس بامعان ودقة حال دروس الآداب الحديثة في اللغات الأخرى وان كانت بعيدة عن العربية لكي يتعمق في أسباب تقدمها او تأخرها ويقتبس من مناهجها وأساليبها ما كان نافعاً ومناسباً للغته وآدابها ٠ وللحقير من هذه الجهة مركز خاص ربما يجعله أسعد حظاً من علماء اوربا في الممالك الاخرى ٠ فليست اللغة الروسية غنية بآدابها فقط بل وبعلمائها النظر بين الباحثين في تاريخ الآداب الذين تعد تآليفهم من أحسن ما كُتب في هذا الموضوع في عالم العلم ٠ وفي روسيا من جهة أخرى شعوب كثيرة لم تبتدئ درس آدابها الا من عشرات من السنين وبين يديك لغة الروسيا البيضاء وآدابها وهي وان كانت عريقة في القدم لم يبتدئ طورها الجديد الا منذ نصف قرن ولم يبتدئ درسها المرتب العلمي الا منذ عشر سنين بعد تأسيس دائرة ترقي التمدن في الروسيا البيضاء التي تحوّلت حديثاً الى اكاديمية العلوم التابعة للروسيا البيضاء ٠ ونرى في بلادنا بعض الدوائر الخاصة لدرس الآداب الحديثة والمتاحف المهتمة تجمع كل ما له ادنى علاقة بالموضوع وتدوينه وترتيبه وإعداده للدرس العلمي ٠ ولا شك ان تجارب هذه الأمم ودوائرها العلمية مما يفيد كل عالم مدقق يحب ترويج الدروس في تاريخ آداب لغته من اي بلد اولغة كان ٠ خصوصاً علماء العرب او المستعربين الذين ليس لغتهم أمثلة هذه الدوائر اوالاهتمام بالمناهج الراقية ٠

وهذه المناهج هي مصدر لبحثنا الثالث كما قد سبق لنا ذكره ٠ ولسنا نطالب من كل باحث في تاريخ الآداب ان يكون له اقل إلمام بكلّ من هذه المناهج على كثرتها وتنوعها لان هذا يحتاج الى وقت طويل ودرس خصوصي لا يحتمله الا علماء النظريات ٠ ومما لا شك فيه ان الباحث الذي يريد ان يكون عمله على مستوى ماتطلبه حالة العلم الحاضرة لا مندوحة له من ان يتعرف الى بعض التآليف البارزة التي تعد من أجمل الأمثلة في لغاتها ٠ هذا أقل ما يطلب منه وبهذا المذهب من المطابقة يرى كل باحث ما ينقصه ويتمكن في طريقه السديد ٠ اما المناهج التاريخية الادبية فكثيرة في اوربا الحاضرة منها

العلمية المحضة ومنها ما لها صبغة من علم تمييز الحُسن او علم الأخلاق او علم الصحافة . وان كان التعارف بجميعها نافعاً لدرس الآداب العربية الحديثة ولا سيما وهي تُعنى في حالتها الحاضرة بالمذهب الاجتماعي او الاشتراكي ومذهب درس الصورة الفنيـة . ولسنا نعني بالمذهب الاشتراكي معناه السياسي بل المذهب الادبي التاريخي الذي يطلب ان يدرس الباحث كاتبه كالجزء الذي لايتجزأ من المجتمع الانساني المشترك معه في كل تقلباته وان يدرس بيئته التي خرج منها وكل ما له علاقة بالمجتمع الذي عاش فيه وكل ظواهر الحياة التي تأثر منها او الزمان الذي كان عاملاً فيه . اما مذهب درس الصورة الفنية فهو يجعل نقطة الدائرة درس صورة التـأليف وأساليب المؤلف الفنيـة وطرائقه لتجسيم افكاره وتخيلاته وكل ما يتعلق بصورة التأليف الظاهرة من وزنها وقافيتهـا او المحاسن اللفظية والمعنوية . ولا يخفى على احد ان هذه المذاهب كلها كانت مستعملة في درس تاريخ الآداب العربيـة منذ القديم ولكن استعمالاً سطحياً لم يعنَّ لفكر الباحث الا بالصدفة او تواتر الافكار بدون سابق المعرفة بتجارب غيرها من اللغات . وهذا التعارف يسهل العمل وينجينا من غلطات المتقدمين ولا يوقعنا في الورطة التي وقعوا فيهـا . ولا حاجة لنا الى التعمق في المجادلات التي ترتبت على قيمة هذه المذاهب التاريخية الادبية ومطابقاتها وتهافتها — المجادلات التي تكثر في الدوائر العلمية الاوربية . لان كل مذهب حسن اذا كان الباحث غير متطرف في استعماله ولا يضيق بحثه بحدود ضيقة ناشفة . ولا ننسى ايضاً ان تاريخ الآداب العربية الحديثة في أحوالها الحاضرة أحوج الى جمع المصادر والمآخذ المنتشرة في كل قطر ومصر من كلام تافه في قيمة المناهج والمذاهب .

اما الآن وقد أنهينا تمهيداتنا في كيفية الطريق المؤدي الى درس الآداب العربية الحديثة فلنخرج الى بث نتائجنا في هذا الموضوع . وبعد لايخفى على كل من له إلمام بالبحث التاريخي الأدبي ان عمله ينقسم الى ثلاثة أقسام متتابعة في الزمان : اولها جمع المواد ثانيها ترتيبهـا واختيارها وثالثهـا الدرس بمعناه الخصوصي وهو يحتوي خلا نقد المواد المجموعة واختيارها كتابة نتائج أفكار الكاتب في قالب مقالة او نظر إجمالي او تاريخ حياة المؤلف المترجم عنه وهلم جرّاً . ولا يخفى ايضاً ان هذه الاقسام او المراتب باقيـة هي ذاتها في عمل شخصي او في اعمال المجمع المختص بدرس تاريخ الآداب او الدائرة التي

أنشئت بسببه . وكل هذه المراتب لها فروع ودرجات لا تحصى . ولنا ان نسأل اولا ما ذا عُمل حتى الآن وما ذا بقي ان يُعمل في المرتبة الاولى اي في جمع المواد . وقبل ان نتعمق في هذا الموضوع يلزمنا ان نحدد ماذا نعني بمواد البحث او مصادره او مآخذه او ينابيعه كما يقول علماء اوربا . ولسنا نعني بالمصادر كل ما كتب المؤلف او طبعه فقط بل وكل ما كُتب عنه وما له ادنى علاقة بحياته او تآليفه من انتقاد وتذكار ورسائل كتبت اليه ورسائل صدرت عنه بل وكل آلة من آلاته كقلمه او دواته او كرسيه الذي كتب كُتبه قاعداً عليه . بل وكل صورة تمثله في أطوار حياته او تمثل اعضاء عائلته وكل تصوير يسهل لنا تخييل محل عمله او يفسر صفحة من تأليفه وهكذا الى النهاية . ولا نحصر المآخذ في لغة واحدة بل يلزمنا ان نجمع كل ما كُتب عن مؤلفنا في كل لغة فقد يوجد فيها ما لا وجود له في لغته من تذكرات المعاصرين له من الامم الأخرى ولهذا مكانة عظيمة . هذا فؤاد البستاني قد وجد عند لامرتين شاعر فرنسا الشهير ذكراً لناصيف اليازجي يمثله لنا في وقت شبابه تمثيلاً ما كنا نتصوره . وقد رأيت شيئاً كثيراً من سيرة محمد عيّاد الطنطاوي في يوميات فالين السائح الفنلاندي تصف لنا حياته ودروسه ايام إقامته في بطرسبرج . ويلزمنا ايضاً ألاّ يفوتنا شيء من آثار لها علاقة بالمؤلف فالكتابة على قبر الطنطاوي مثلاً أوضحت لنا مشكلة في تاريخ موته وهو يخالف عما في الأوراق الرسمية .

ومما تقدم يتضح لنا وضوحاً تاماً ان جمع المصادر لتاريخ الآداب العربية الحديثة لم يخرج حتى الآن في البلاد العربية والغربية من حيز العدم . وان خزائن الكتب والمخطوطات جمعت طرفاً حسناً من مؤلفات المتقدمين من الكتبة والعلماء اما تآليف العصريين فلم تدخل فيها الا بطريق الصدفة ولم يكن لها من الاهتمام نصيب . وليس من المجاميع على ما نعلم الا مجموعة واحدة تستحق الذكر والثناء هي مجموعة الصحف والمجلات التي جمعها فيليب طرازي وهي التي أبدته في تأليفه الخطير عن تاريخ الصحافة العربية وقد خرجت من بلاد العرب وهاجرت الى مدينة هامبورغ من المانيا . وعلى مثل هذا الطريق يلزمنا ان نجمع كل ما له علاقة بكتبة القرن التاسع عشر والعشرين حسب فهم معنى المصادر المشروح آنفاً . وليس من الحكمة ان نحصر مجهودنا في الاعمال الشخصية فقط

بل من الضرورة إثارة الرأي العام في هذا الصدد ببث الرسائل الخصوصية ونشر الاعلانات وإرسال البعثات العلمية الى أماكن حياة الكتبة المشهورين لجمع ما بقي من كتاباتهم في أيدي الافراد وجمع التذكرات من أفواه معاصريه • ويجب ارسال هذه البعثات العلمية ايضاً الى خزائن الكتب المشهورة في الشرق والغرب لدرس مايوجد فيها من آثار الآداب العربية الحديثة •

ومما لا شك فيه ان كل الأعمال يجب اجراؤها حسب اللائحة المخصوصة المرسومة بايدي الاختصاصيين في هذه الدائرة الذين لهم إلمام بمناهج البحث الأدبي التاريخي • ويجب ان يذكر في هذه اللوائح كل الاصناف من المصادر التي يهم العلم جمعها ودرسها وتذكر ايضاً المسائل الخاصة المتعلقة بالكتب المعينة او التآليف المفقودة التي يجب البحث عنها او النقط غيرها التي يهم درسها وتوضيحها • وانتشار هذه اللوائح وسط الدوائر العلمية او المدارس الوسطى والعليا يعود بنفع على تاريخ الآداب الحديثة •

بجمع المآخذ يتعلق تدوينها وترتيبها تسهيلاً للابحاث العلمية • وهذا العمل الشاق متنوع نوعاً ليس باقل من الاول والتالي • ولسنا نعني به الفهارس البسيطة السطحية أمثال فهارس القسطنطينية او المكتبة الخديوية القديمة بل نعني وصفاً دقيقاً علمياً يصور لنا الآثار من كل جهاتها وبكل دقائقها لكي نعلم قبل النظر اليها هل نجد فيها شيئاً يفيدنا في البحث الذي يهمنا في الوقت الحاضر • وليس تدوين المصادر محصوراً على ما يوجد في المحل الفلاني فقط بل من الضرورة جمع الأخبار عن كل ما له علاقة بالآداب الحديثة في بلدان مختلفة وخزائن غريبة ومجلات متنوعة في اللغات الغربية • مثال ذلك ان مكاتيب الطنطاوي وجدناها في مدينة هيلسنغفورس عاصمة فنلاندا وبعضها في قازان عاصمة الجمهورية التتارية • ولا تمس الحاجة الى تكرار معنى المآخذ ووجوب تدوين كل ما يوضح لنا شخصية المؤلف او يفسر تآليفه من الصور والآلات وأثاث المنزل وليس هذا العمل مما يسعه علم عالم فرد بل هي من واجبات الدوائر المخصوصة المؤسسة في بلدان مختلفة والمرجو تأسيسها في بلاد العرب •

ومن مقدمات الدرس بعض الأعمال الاولية التي لها علاقة بتدوين المصادر كقاموس الكتبة في القرنين التاسع عشر والعشرين مع ترجمة حياة كل واحد منهم

مختصرة وفهرست تأليفاته وذكر المصادر والمآخذ المهمة ولنا مثال حسن في تأليفات يوسف سركيس والزركلي الشهيرة ولكنها لا تمثل الا خطوة اولى في هذا الطريق ويجب تدقيقها وترقيتها لكي يصير في الآداب العربية الحديثة كتاب مثل كتاب بروكلمان الألماني عن الآداب العربية في القرن الوسطى . ومن العدالة ان لا يختصر القاموس على أسماء المؤلفين الذين قد انتقلوا الى عالم البقاء بل يدخل فيه معاصرونا الاحياء ممن يكون لهم شأن في المستقبل . وأحسن طريق الى جمع الاخبار عنهم ارسال اللوائح المخصوصة المشتملة على الاسئلة المعينة على نحو ما عمل و ينغاروف العالم الروسي الذي اصبحت مجموعته من أمتن أساس تاريخ الآداب الروسية الحديثة . ولنا مثال أقرب من هذا في سعي كامفماير العالم الالماني المذكور وبنشره بعض تراجم حياة شعراء العصر المكتوبة باقلامهم إجابة لسؤاله وكل ذلك من أوثق المصادر وأصدقها التي يصعب الوصول اليها بعد فوت الفرصة . ومن قبيل المعاجم التي تسهل الأبحاث العلمية معجم الاسماء المستعارة وقد انتشرت بين كتبة الغرب ولا سيما في قرننا هذا انتشارها بين أدباء اوربا . وهذا المعجم لا يتسنى جمعه الا لمن كان معاصراً للكتبة او مستنداً الى تذكرات معاصريهم فان الذكرى عن معنى هذه الاسماء تتلاشى بمرور الايام . وان كنا نعرف نحن ان المصري الفلاح مؤلف رواية زينب الفريدة في بابها هو الكاتب الشهير محمد حسين هيكل فلا يتيسر معرفته لابنائنا ان لم نثبت هذا في كتاب ما . ومن قبيل الاعمال الاولية ايضاً جمع الاخبار عن كل ما يتعلق بالكاتب المفرد او العصر المعين او الطور المخصوص وعن كل ما كُتب فيه او طُبع في وقته . وأحسن طريق لتدوين هذه المواد تقييد ملاحظة واحدة او مصدر منفصل على قطعة من الورق الغليظ مفردة لكي يسهل فيما بعد ترتيب هذه الملاحظات على اي نسق أريد . وهذه الفهارس يجب حفظها في محل خاص لكي لا يعسر الرجوع اليها لكل من يريد جمع المواد لدرس معين .

وتحتوي هذه المرحلة من الدرس ايضاً على طبع المؤلفات للكتبة المشهورين النقدي العلمي وجمع كل المؤلفات المتفرقة في المطابع او المجلات لكاتب واحد . وليس هذا بالامر اليسير كما يتوهمه من اول نظرة من لم يكابده فالطبع العلمي النقدي يحتاج الى مقابلة النسخ المعروفة والى تثبيت نص التأليف في كل تدقيقاته حسب مخطوطات المؤلف ان هي

بقيت الى يومنا وحسب كل طبعات بعد المقابلة الدقيقة بامعان النظر . وليس لدينا كتاب واحد مطبوع على هذه القواعد . وهذا مما يعرقل كل درس وكل عمل في حيز الآداب العربية وقد تحملنا مشاق جمة وقت ترتيب المواد لنشرتنا المنتخبات العصرية لانا لم نقدر ان نثبت على اليقين هل في كتابة لفظة او جملة على الطريق غير الاعتيادي غلط مطبعي [illegible] كتابة مخصوصة معتمدة من المؤلف نفسه . ولا ننس ايضاً ان الطبع النقدي يك[illegible] لدرس كل المسائل المتعلقة بنص المؤلف كتاريخ اللغة في عصره او اختراع م[illegible] عاتها اوايضاح المناهج الفنية . ولذلك يجب ان يكون طبعه ملحقاً بالحواشي والشروح التي لا تترك محلاً للشبهة في فكر قارئه او دارسه وتبين له كل جليلة ودقيقة تستحق الذكر . ولا ننس ايضاً ان الطبع النقدي يجب ان يكون ظاهراً الى عالم الوجود في احسن صورة ولذلك يهم الاعتناء بحسن حروفه واتقان طبعه من هذه الجهة .

ولا نقدر ان نستوعب ذكر كل ما يتعلق بالاعمال والدروس بهذه الدرجة الثانية من البحث العلمي درجة الترتيب والتدوين . اما الدرجة الثالثة وهي الأهم من بين الثلاثة لانها تبرز فكر العالم الباحث الى حيز الوجود فتحتوي ايضاً على الاصول والفروع التي لا طاقة لنا في تعديد كل مفرداتها . ويدخل فيها مقالات مخصصة لدرس الكاتب المعين او بعض أطراف من عبقريته او تأليفه الواحد كما تدخل ايضاً نظرة إجمالية في طور من الأطوار او في كل تاريخ الآداب العربية الحديثة . وغني عن البيان ان هذه المرتبة تحتاج احتياجاً كلياً الى معرفة مناهج درس تاريخ الآداب العلمية وقد سبق لنا ذكر المناهج التي لها ادنى علاقة على ظننا بدرس الآداب العربية الحديثة وهي المذهب لاجتماعي او الاشتراكي ومذهب درس الصورة الفنية ولا لزوم الى اعادة ما قلناه عن هذه [illegible]ـاهج او غيرها . ولا ضرورة الى تعديد كل الموضوعات المختصة بتاريخ الآداب التي [illegible]خل في الدرس وهي اكثر من ان تعد وتحصى فمن أهم الدروس بحث أحوال العمل [illegible]ف ونظريته في مسائل الآداب ونفسية التأليف وانعكاس بيئته في تأليفه او امانيه [illegible]اله في المستقبل . اما من جهة الصورة الفنية ففي المحل الاول يحل درس فضائل [illegible]ناعته او نقائصها من كل وجوهها . ولا ينحصر درس الآداب بدرس الفن الجميل فقط بل يدخل فيه فروع أخرى ايضاً كتاريخ الانتقاد الحديث او تاريخ الصحافة وقد

أتحفنا فيليب طرازي بنموذج حسن من هذا القبيل . ولدروس هذه المرتبة علاقة وثيقة بالكتب المؤلفة لنشر معرفة الآداب الحديثة او أفرادها الكرام ولهذه الكتب مكانة لا يستهان بها فانها تروج دروس الآداب ولا سيما بين النشء الجديد وتشوقه الى هذه المسائل . ونعمت الفكرة فكرة فؤاد البستاني في روائعه فقد اعطانا خير كتاب عمومي عن اليازجي والبستاني الكبير وولي الدين يكن . ونعمت فكرة ادارة مطبعة الوفد فقد أتحفتنا بكتيب في الشعر النسائي المصري يمثل لنا كبيرات نجومه . ومن هذه الجهة انفع الدروس كتب المنتخبات بالحواشي والتراجم كمثل مختارات المنفلوطي وقد أدخل فيها قسماً صالحاً من تآليف العصر وكنا نودّ لو طبعت منتخبات من تآليف كل كاتب مشهور كما نرى امثالها في اوربا عشرات كل سنة وكما فعلت ادارة الهلال في مختارات جرجي زيدان .

اما الآن وقد وصلنا الى خاتمة مجالتنا فلم يبق لنا الا ان ننظر الى نتيجتها النهائية وهي جلية لكل متأمل جلاءً واضحاً ونقول لا يدع عالماً واحداً مهما علت همته اوقويت قريحته اوحسنت أحواله ان يأخذ على عاتقه كل الاعمال المشروحة اعلاه وحالة الدروس الحاضرة عن تاريخ الآداب العربية الحديثة كما رأينا. فعليه يتراءى لنا دواء هذه الاحوال في تأسيس دائرتين مخصصتين لهذه الأعمال . اولاهما المتحف الخصوصي الحاوي لكل ما يتعلق بمصادر تاريخ الآداب العربية الجديدة . وله المثل الأعلى في المتحف المسمى ببيت بوشكين التابع لأكاديمية العلوم الروسية وهو المتحف الذي أسس سنة ١٩٠٧ على اسم الشاعر الرومي الشهير الذي يعد اباً لكل الآداب الروسية الجديدة . وهذا المتحف لا يحتوي على كل ما يتعلق ببوشكين فقط بل و بسلفه الأدبي وبكل تلاميذه في الأدب وكل مقلديه من زمانه الى ايامنا هذه . وهذا المتحف ينقسم اقساماً منها قسم الكتب الجامع لكل الطبعات من الشعراء والكتبة الروسيين وكل ما كُتب عنهم من انتقاد وتاريخ حياتهم وتذكرات معاصريهم ومجلات زمانهم وجرائدهم . ومنها قسم المخطوطات الحاوي تركات الكتبة ومخطوطاتهم ومسوداتهم ومكاتيبهم منهم واليهم . ومنها المتحف بالمعنى المعتاد وهو يحمل صور المؤلفين وتصاوير تفسر حياتهم وتآليفهم وعلى الآلات الباقية منهم التي تصور لنا اشغالهم وحياتهم الشخصية . ومنها قسم المراجعات والاستدلالات . وفيما

فهارس كل ما هو معروف عن الكاتب المفرد وتآليفه ووقته وعدة من المجموعات التي تسهل الدرس لكل من له همة في ذلك . ووصف هذا المتحف بكل دقائقه يطلب محلاً واسعاً ويحتاج الى تأليف سفر قائم بذاته . وقد ألّف بعض الكتب في المعنى في اللغة الروسية والفرنسوية قد بعثت بشيء منها الى المجمع العلمي الموقر . ولكن المتحف وحده لا يكفي لترويج درس الآداب الحديثة ولذلك نقترح تأسيس دائرة مخصوصة ثانية الى جانبه تعنى بدرس الآداب حسب الاوجه الثلاثة المشروحة آنفاً وحسب اللائحة المفصلة . وهذه الدائرة تكون مستقلة كالإنستيتوت ضمن الدوائر العلمية غيرها او تكون تحت ادارة المجمع العلمي العربي او تكون قسماً منه يهتم بدرس الآداب العربية الحديثة خصوصاً . وكل هذه المسائل في ماهية الدائرة يلزم البحث عنها بكل امعان ودقة بين العلماء المشتغلين بالموضوع اذا صادف الفكر وجه استحسان بين الاختصاصيين .

هذا ما أردنا بثه وسرده وهذا قليل بل أقل من القليل في الطريق الموصل الى المقصد الأسنى البعيد الذي لا وصول اليه الا بالرسم المرسوم وبذل المجهود من العلماء المجتمعين . وليس هذا الا جزء من الافكار والآراء تراكمت لدى هذا الحقير وقت درسه للمسائل المتعلقة بتاريخ الآداب العربية الحديثة منذ ربع قرن . ولأعضاء المجمع العلمي العربي الموقرين ان يصرحوا برأيهم في الاقتراح اذا رأوه مما يستحق الذكر . ونلتمس من قراء المجلة الفضلاء الذين لهم اليد الطولى في هذه المسائل ان يبدوا ملاحظاتهم وتعاليقهم فباصطدام الآراء تنجلي الحقيقة ، وربما نوفق في سعينا الى ترويج درس الآداب العربية الحاضرة ويكون في ذلك امتزاج همة الشرق وتجاريب الغرب المؤدي الى نهضة العرب العلمية الأدبية التي هي ضالتنا .

كُتب في أسكي قريم : ا . كراتشقوفسكي

عضو المجمع العلمي العربي

الفيلسوف الفارسي الكبير

صدر الدين الشيرازي

— ٣ —

(احاطة الوجود وسعته) : وذهب الى سعة في وجود الواجب (ي الله) واحاطة معنوية تامة تشمل الكون باجمعه ولا يشذ عنه شيء وهذا الرأي يوضح مذهب صدرالدين في القوة المبدعة (اي الله) كما انه يوضح معنى وحدة الوجود .

قال في كتابه (شواهد الربوبية) الاشراق العاشر في انه جل اسمه كلّ الوجود قول اجمالي كلّ بسيط الحقيقة من جميع الوجوه فهو بوحدته كل الاشياء والا لكان ذاته متحصل القوام من هوية امر ولا هوية امر ولو في العقل (قول تفصيلي) اذا قلنا لانسان يسلب عنه الفرس اوالفرسيّة فليس هو من حيث هو انسان لافرس والا لزم من تعقله تعقل ذلك السلب اذ ليس سلباً بحتاً بل سلب نحو من الوجود فكل مصداق لايجاب سلب المحمول عنه لايكون الا مركبا فان لك ان تحضر في الذهن صورته وصورة ذلك المحمول مواطأة او اشتقاقاً فتقايس بينهما وتسلب احدهما عن الآخر فما به الشيء هو هو غير مابه يصدق عليه انه ليس هو فاذا قلت زيد ليس بكاتب فلا يكون صورة زيد بما هي صورة زيد ليس بكاتب والا لكان زيد من حيث هو زيد عدماً بحتاً بل لا بد وان يكون موضوع هذه القضية مركباً من صورة زيد وامر آخر به يكون مسلوبًا عنه الكتابة من قوة او استعداد . فان الفعل المطلق لايكون هو بعينه من حيث هو بالفعل عدم فعل آخر الا ان يكون فيه تركيب من فعل وقوة ولو في العقل بحسب تحليله الى مهيّة ووجود وامكان ووجوب واجب الوجود لما كان مجرد الوجود القائم بذاته من غيرشائبة كثيرة اصلاً فلا يسلب عنه شيء من الاشياء لانه تمامها وتمام الشيء احق به واوكد له من نفسه واليه الاشارة في قوله تعالى (ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى) وقوله (مامن نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولاخمسة الا هوسادسهم) فهو رابع الثلاثة وخامس الاربعة وسادس الخمسة لانه بوحدانية

كل الاشياء وليس هو شيئاً من الاشياء لان وحدته ليست عددية من جنس وحدات الموجودات حتى يحصل من تكررها الاعداد بل وحدة حقيقية لا مكافئ لها في الوجود ولهذا كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة ولو قالوا ثالث اثنين لم يكونوا كفاراً . ومن الشواهد البينة على هذه الدعوى قوله تعالى (هو معكم اينما كنتم) فان هذه المعيـة ليست ممازجة ولا مداخلة ولا حلولاً ولا اتحاداً ولا معية في المرتبة وفي درجة الوجود ولا في الزمان ولا في الوضع تعالى عن ذلك علواً كبيراً هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيءٍ عليم . ونسب اليه هذا الرباعي :

مجموعهٔ كونين باشين سبق كرديم تفحص ورقا بعد ورق
حقا كه نخوانديم ونديديم دراو جز ذات حق وشئون ذاتيه حق

اي تصفحنا صفحات الوجود ورقاً بعد ورق حقاً ما تلونا وما رأينا فيها الا ذات الحق تعالى وشؤون ذاته الحقة .

ونسب اليه هذا البيت ايضاً :

وما الناس في التمثال الا كثلجة وانت لها الماء الذي فيه [١] نابع

وهذا الرأي ايضاً يشبه مذهب (باسكال) السابق الذكر[٢] .

وهذا المذهب كمذهب الماديين وان في المادة مبدأ مدبراً هو الله وان عنصر النظام الذي نعثر عليه في نواحي المادة هو الله ويشعر بل ينص بقدم المادة وازليتها لان المبدع ليس منفصلاً عنه وان كان ارتباطه بطريق مجهول . بقي شيءٌ : وفرق بين المذهبين مذهب صدر الدين ووحدة الوجود ومذهب الماديين وهو ان الماديين ينكرون الشعور العام المسمى بالعلم وينكرون وجود الغاية والحكمة في خلق الكون واجزاء العالم ونواميسه الجارية ولكن صدر الدين يثبت العلم والغاية في كليهما في الوجود .

(مذهب صدر الدين في علم الباري تعالى) : من اعوص مسائل اللاهوت التي شغلت حيزاً من افكار الفلاسفة من اقدم عصور الفلسفة هي مسألة علم الباري (الله) اضطربت

---

(١) وجدنا البيت بنصه المنقول ولكن ضمير التذكير لا يستقيم الا بارجاعه الى التمثال .

(٢) ولد باسكال في كليرمون في ١٨ يونيه سنة ١٦٢٣م وتوفي سنة ١٦٦٢م .

فيه الآراء واختلفت المذاهب حتى بلغ اصول المذاهب الفلسفية في العلم الى ثمانية اقوال وآراء لان علم الواجب على المبادي الفلسفية لا يقاس بعلم الممكن ولما فكر صدر الدين في مذاهب الفلاسفة المتقدمين في العلم فوجدها لا تزيح النقاب عن وجه الحقيقة كما يريد — سلك مسلكاً في العلم يتصل الى مسلك وحدة الوجود ولكن العصر لم يكن يسمح له بالتصريح به خوفاً من الاضطهاد الديني ذكر (١) مذاهب المشائين وابي نصر وابن سينا و بهمينار (٢) مذهب الاشراقيين والسهروردي صاحب حكمة الاشراق (٣) مذهب المعتزلة (٤) مذهب فرفوريوس وقال ان لكل من هذه المذاهب الاربعة وجهاً صحيحاً لعلمه التفصيلي وقال ولا الذ تراحت اليه قلوب المتأخرين من العلم الاجمالي .

بل كما علمنا الله سبحانه بطريق اختصاصي سو ذه الطرق المذكورة ولا ارى في التنصيص عليه مصلحة لغموضه وعسر ادراكه على اكثر الافهام ولكني اشير اليه اشارة يهتدي بها اليه من وفق له وهو ان ذاته في مرتبة ذاته مظهر لجميع صفاته واسمائه كلها وهو ايضاً مجلاة يرى بها وفيها صور جميع الممكنات من غير حلول ولا اتحاد اذ الحلول يقتضي وجود شيئين لكل منهما وجود يغاير وجود صاحبه والاتحاد يستدعي ثبوت امرين يشتركان في وجود واحد ينتسب ذلك الوجود الى كل منهما بالذات وهناك ليس كذلك كما اشرنا اليه بل ذاته بمنزلة مرآة ترى فيها صور الموجودات كلها وليس وجود المرآة وجود ما يتراءى فيها اصلاً (اشارة تمثيلية) واعلم ان امر المرآة عجيب وقد خلقها الله عبرة للناظرين وذلك ان ما يظهر فيه و يتراءى من الصور ليست هي بعينها الاشخاص الخارجية كما ذهب اليه الرياضيون القائلون بخروج الشعاع ولا هي صور منطبعة فيها كما اختاره الطبيعيون ولا هي موجودات عالم المثال كما زعمه الاشراقيون فان كلاً من هذه الوجوه الثلاثة مقدوح مردود بوجوه من القدح والرد كما هو مشروح في كتب الحكماء بل الصواب ما اهتدينا اليه بنور الاعلام الرباني الخاص وهو ان تلك الصور موجودات لا بالذات بل بالعرض بتبعية وجود الاشخاص المقترنة بجسم شفاف صقيل على شرائط مخصوصة فوجودها في الخارج وجود الحكاية بما هي حكاية وهكذا يكون وجود الماهيات والطبائع الكلية عندنا في الخارج فالكلي الطبيعي اي الماهية من حيث هي موجودة بالعرض

لانه حكاية الوجود ليس معدوماً مطلقاً كما عليه المتكلمون ولا موجوداً اصلياً كما عليه الحكماء بل له وجود ظلي الخ .

« ايضاح هذا المطلب يتم بعدة مقدمات »

(الاولى) ان علم الباري يمثل بعلم النفس بذاتها فان العلم والمعلوم هناك واحد فالنفس عالمة ومعلومة والعلم ايضاً قائم بها .

(الثانية) ان وجود الباري بسباطته لا يشاب بعدم ونقص وله كمال لا نهائي فارفع درجات العلم واكملها موجود هناك ولا يشوبه غيبة شيء ولا صغيرة ولا كبيرة الا احصاها اذ لو بقي شيء من الاشياء ولم يكن ذلك العلم علماً به لم يكن صرف حقيقة العلم بل علماً بوجه وجهلاً بوجه آخر وصرف حقيقة الشيء لا تمتزج بغيره والا لم يخرج جميعه من القوة الى الفعل (اي لم يبلغ حد الكمال وهو خلاف الفرض) وعلمه راجع الى وجوده فكما ان وجوده لا يشاب بعدم ونقص فكذلك علمه الذي هو حضور ذاته لا يشاب بغيبة شيء من الاشياء على انه تعالى محقق الحقائق ومشيء الاشياء فحضور ذاته تعالى حضور كل شيء .

(٣) الثالثة ان مثل الواجب الباري كمثل المرآة ومثل الموجودات الممكنات كمثل الصور المرئية فيها المنطبعة على صفحتها بواسطة اسبابها من محاذاة ذي الصورة لها ووجود النور وغيرهما فالصورة مرئية فيها وبها ولكن كيفية انطباعها وظهورها مجهولة لنا فتلك الموجودات تظهر في وجه الله وقيامها وظهورها يكون به تعالى فالطبائع الكلية لها وجود ظلي لولا وجود الباري لم يكن لها ظهور كما انه لولا المرآة لم يكن للصور ظهور ووجود . فنحن نبصر الصور في المرآة ولا نعلم كيفية انطباعها فكذلك نرى الموجودات وهي قائمة به تعالى ولكن لا ندري ما هو الوجود الحق الواجب .

(٤) الرابعة فهو عالم بذاته وعلمه هو حضور الذات فنحن اذا فرضنا ان المرآة شعرت بذاتها المنطبعة فيها الصور يكون المثل أقرب الى المقصود . فالوجود اللانهائي عالم بالوجود كافة هذه نهاية ما يصور ويدرك من فلسفة صدر الدين في العلم فهم ما من جملة كلامه المستور بستائر التقية . ثم هذا العلم يتعلق بعلمه المتعلق بالايجاد .

ماهية كل شيء هي حكاية عقلية عنه وشبح ذهني لرؤيته في الخارج وظل له .

(مذهب صدر الدين في الحكمة في اجزاء الكون والقصد من وجودها) : من المسائل الفلسفية الغامضة التي تحير فيها كبار الفلاسفة مسألة وجود القصد والحكمة في تكون العالم (يقول صدر الدين) : زعم ايندقلس (انبـاذقلس) ان تكوّن الاجرام الاسطقسية بالاتفاق وذهب ذيمقراطيس ومن تبعه ان العالم وجد بالاتفاق وان لم يكن تكوّن الحيوان والنبات بالاتفاق ٠

يقول الثاني ان مباديء العالم اجرام صغار لا تتجزأ لصلابتها وهي مبثوثة في خلاء غير متناهي وهي متشاكلة الطبائع مختلفة الاشكال دائمة الحركة فاتفق ان تصادمت منها جملة واجتمعت على هيئة مخصوصة فتكوّن منها هذا العالم ٠

ويقول الاول ان تكوّن الاجرام الاسطقسية بالاتفاق فما اتفق ان لم يكن كذلك لم يبق واحتج بحجج منها ان الطبيعة لا روية لها فلا يعقل ان يكون فعلها لاجل غرض ٠ ومنها ان الفساد والموت والتشويهات والزوائد ليست مقصودة مع ان لها نظاماً لا يتغير كاضدادها فعلم ان الجميع غير مقصود للطبيعة فان نظام الذبول وان كان على عكس النشو والنمو لكن له كعكسه نظام لا يتغير ونهج لا يهمل ولما كان نظام الذبول ضرورة المادة من دون ان يكون مقصوداً للطبيعة فلا جرم يحكم بان نظام النشو والنمو ايضا بسبب ضرورة المادة بلا قصد وداعية للطبيعة وهـذا كالمطر الذي نعلم جزماً انه كائن لضرورة المادة اذ الشمس اذا بخرت الماء تخلص البخار الى الجو البارد فلما برد صار ماءً ثقيلاً فنزل ضرورة فاتفق ان يقع في مصالح فيظن ان الامطار مقصودة لتلك المصالح وليس كذلك بل لضرورة المادة ٠

ومنها ان الطبيعة الواحدة تفعل افعالاً مختلفة مثل الحرارة فانها تحل الشمع وتعقد الملح وتسود وجه القصار وتبيض وجه الثوب فهذه حجج القائلين بالاتفاق ٠

وضع صدر الدين اولاً مقدمة في دحض حجج هذا المذهب مفادها ان الامور الممكنة على اربعة اقسام (١) الدائمي وهو يوجد بعلته ولا يعارضه معارض كحركة المنظومة الشمسية مثلاً (٢) والاكثري وهو قد يعارضه كالنـار في اكثر الامر تحرق الحطب وهو يتم بشرط عدم المعارض سواء أكان طبيعياً او ارادياً فان الارادة مع التصميم وتهيؤه للحركة وعدم مانع للحركة ونافض للعزيمة وامكان الوصول الى المطلوب فبين انه يستحيـل ان

لا يوصل اليه. (٣) ما يحصل بالتساوي كقعود زيد وقيامه. (٤) ما يحصل نادراً او على الأقل كتكون إصبع زائدة اما ما يكون على الدوام او على الاكثر فوجودهما لا يكون بالاتفاق لان الاتفاق معناه ان لا يخضع الشيء للنظام المستمر او الاكثر والثالث والرابع قد يكونان باعتبار ما واجباً اي خاضعاً لناموس لا يتغير مثل ان يشترط ان المادة في تكون كف الجنين فضلت عن المصروف عنها الى الاصابع الخمس والقوة الفاعلة صادفت استعداداً تاماً في مادة طبيعية فيجب ان يتخلق اصبع زائدة فعند هذه الشروط يجب تكون الاصبع الزائدة ويكون ذلك ايضاً من باب الدائم بالنسبة الى هذه الطبيعة الجزئية وان كان نادراً قليلاً بالقياس الى سائر افراد النوع فاذا حقق الامر في تكون الامر الأقل انه دائم بشروطه وأسبابه ففي ضرورة المساوي اكثرياً اودائمياً بملاحظة شروطه وأسبابه لم يبق ريبة فالامور الموجودة بالاتفاق انما هي بالاتفاق عند الجاهل باسبابها وعللها واما بالقياس الى مسبب الاسباب والاسباب المكتنفة فلم يكن شيء من الموجودات اتفاقاً كما وقع في السنة الحكماء الاشياء كلها عند الاوائل واجبات فلو أحاط الانسان بجميع الاسباب والعلل حتى لم يشذ عن علمه شيء لم يكن عنده شيء موجوداً بالاتفاق فان عثر حافر بئر على كنز فهو بالقياس الى الجاهل بالاسباب التي ساقت الحافر الى الكنز اتفاق واما بالقياس الى من أحاط بالاسباب المؤدية اليه ليس بالاتفاق بل بالوجوب فقد ثبت ان الاسباب الاتفاقية حيث يكون لاجل شيء الا انها أسباب فاعلية بالعرض والغايات غايات بالعرض وربما يتأدى السبب الاتفاقي الى غايته الذاتية كالحجر الهابط اذا شج ثم هبط الى مهبطه الذي هو الغاية الذاتية وربما لا يتأدى الى غايته الذاتية بل اقتصر على الاتفاقي كالحجر الهابط اذا شج ووقف ففي الاول يسمى بالقياس الى الغاية الطبيعية سبباً ذاتياً و بالقياس الى الغاية العرضية سبباً اتفاقياً وفي الثاني يسمى بالقياس الى الغاية الذاتية باطلاً فاذا تحقق ذلك فقد علم ان الاتفاق غاية عرضية لامر طبيعي او ارادي اوقسري ينتهي الى طبيعة او ارادة فتكون الطبيعة والارادة أقدم من الاتفاق لذاتيهما فما لم يكن اولاً امور طبيعية او ارادية لم يقع اتفاقاً فالامور الطبيعية والارادية متوجهة نحو غايات بالذات والاتفاق طارئ عليها اذا قيس اليها من حيث ان الامر الكائن في نفسه غير متوقع عنها اذ ليس دائماً ولا اكثرياً لكن يلزم ان يكون من شأنها التأدية اليها ثم اخذ في

دحض حجج الاتفاق على التفصيل : دحض الحجة الاولى بان الطبيعة اذا عدمت الروية ولا يستلزم او يوجب ان يكون الفعل الصادر عنها غير متوجه الى غاية فان الروية لا تجعل الفعل ذا غاية بل انما يميز الفعل الذي يختار ويعينه من بين أفعال يجوز اختيارها . ثم يكون لكل فعل من تلك الأفعال غاية مخصوصة يلزم تأدي ذلك الفعل اليها لذاته لا بجعل جاعل حتى لو قدّر كون النفس مسلمة عن اختلاف الدواعي والصوارف لكان يصدر عن الناس فعل على نهج واحد من غير روية كما في الافلاك فان الافلاك سليمة عن البواعث والعوارض المختلفة فلاجرم ان تكون أفاعيلها على نهج واحد من غير روية ومما يؤيد ذلك ان نفس الروية فعل ذو غاية وهي لا تحتاج الى روية أخرى .

وايضاً ان الصناعات لا شبهة في تحقق غايات لها ثم اذا صارت ملكة لم يحتج في استعمالها الى الروية بل ربما تكون مانعة كالكاتب الماهر لا يروي في كل حرف وكذا العوّاد الماهر لا يتفكر في كل نقرة . واذا روّى الكاتب في كتبه حرفاً والعوّاد في نقره يتبلد في صناعته فللطبيعة غايات بلا قصد وروية .

ودحض الحجة الثانية بان الفساد في هذه الكائنات تارة لعدم كمالاتها وتارة لحصول موانع وارادات خارجة عن مجرى الطبيعة . اما الاعدام فليس من شرط كون الطبيعة متوجهة الى غاية ان تبلغ اليها فالموت والفساد والذبول كل ذلك لقصور الطبيعة عن البلوغ الى الغاية (وها هنا سر ليس هذا المشهد موضع بيانه) واما نظام الذبول هو ايضاً متأد الى غاية وذلك لان له سببين احدهما بالذات وهو الحرارة والآخر بالعرض وهو الطبيعة ولكل منهما غاية فالحرارة غايتها تحليل الرطوبات فتسوق المادة اليه وتقيسها على النظام وذلك للحرارة بالذات والطبيعة التي في البدن غايتها حفظ البدن ما امكن بامداد بعد امداد ولكن كل مدد تال يكون الاستمداد منه اقل من المدد الاول . فيكون نقصان الامداد سبباً لنظام الذبول بالعرض والتحليل سبباً بالذات للذبول وفعل كل واحد منهما متوجه الى غاية ثم ان الموت وان لم يكن غاية بالقياس الى بدن جزئي فهو غاية بالقياس الى نظام واجب لما أعدّ للنفس من الحياة السرمدية وكذا ضعف البدن وذبوله لما يتبعهما من رياضات النفس وكسر قواها البدنية التي بسببها تستعد للآخر على ما يعرف في علم النفس . واما الزيادات فهي كائنة لغاية ما فان المادة اذا فضلت أفادتها الطبيعة

الصورة التي تستحقها ولا يعطلها كما علمت فيكون فعل الطبيعة فيها بالغاية وان لم يكن غاية للبدن بمجموعه ونحن لم ندع ان كل غاية لطبيعة يجب ان يكون غاية لغيرها . واما ما نقل في المطر فممنوع بل السبب فيه أوضاع سماوية تلحقها قوابل واستعدادات ارضية للنظام الكلي وانفتاح الخيرات ونزول البركات فهي أسباب آلهية لها غايات دائمة اوا كثرية في الطبيعة .

ودحض الثالثة بان القوة المحرقة لها غاية واحدة هي احالة المحترق الى مشاكلة جوهرها واما سائر الافاعيل كالعقد والحل والتسويد والتبييض وغيرها فانما هي توابع ضرورية وستعلم اقسام الضروري الذي هو احدى الغايات بالعرض .

وقد ذكر في كتاب الشفاء ابطال مذهب انباذقلس ببيانات مبنية على المشاهدات وشواهد موضحة. ولذلك حمل بعضهم كلامه في البخت والاتفاق على انه من الرموز والتجوزات او انه مختلق عليه لدلالة ما تصفحه ووجده من كلامه على قوة سلوكه وعلوّ قدره في العلوم ومن جملة تلك الدلائل الواضحة ان البقعة الواحدة اذا سقطت فيها حبة برّ وحبة شعير أنبت البرّ برّاً والشعير شعيراً فعلم ان صيرورة جزء من الارض برّاً والآخر شعيراً لاجل ان القوة الفاعلة تحركها الى تلك الصور لا للضرورة المادة لتشابهها ولو فرض ان اجزاء الارض مختلفة فاختلافها ليس بالماهية الارضية بل لان قوةً في الحبة افادت تلك الخاصية لذلك الجزء الارضي فان كانت أفادت تلك الخاصية لخاصية أخرى سابقة عليها لزم التسلسل وان لم يكن كذلك كانت القوة المودعة في البُرّة لذاتها متوجهة الى غاية معينة والا فلِمَ لا ينبت الزيتون براً والبطيخ شعيراً ؟

(نظرية في حس المادة وعشق الهيولي) : اذا ألقيت نظرتك في كتب الفلسفة ألفيت بين الآراء الفلسفية المختلفة رأياً لبعض الفلاسفة القدماء وهو ان للهيولي شوقاً الى الصورة وكان هذا الرأي مجملاً ومبهماً لم يوضح المراد منه وناهيك ان مثل الشيخ الرئيس ابن سينا الفيلسوف اعترف بانه تعسر عليه فهم معنى شوق الهيولي الى الصورة ولذلك كان هذا الرأي موضع شك وارتياب بينهم حتى تفرقت الفلاسفة فيه الى ناف .

احتج في نفيه بادلة لا تغني من الحق شيئاً وشاكّ لم تقنع نفسه بدليل النفي والاثبات ومثبت أثار برهانه في اثباته ونحن نورد كلام الرئيس ابن سينا المتضمن لدليل النفي

وشكه فيه ايضاحاً لرأي صدر الدين قال[1]: وقد يذكر حال شوق الهيولى الى الصورة وتشبيهها بالانثى وتشبيه الصورة بالذكر وهذا شيء لست أفهمه . اما الشوق النفساني فلا يختلف في سلبه عن الهيولى . واما الشوق التسخيري الطبيعي الذي يكون انبعاثه على سبيل الانسياق كما للحجر الى الاسفل ليستكمل بعد نقص له بعد في اينه الطبيعي فهذا ايضاً بعيد عنها ولقد كان يجوز ان يكون الهيولى مشتاقة الى الصورة لو كان هناك خلو عن الصورة كلها او ملال صورة قارنتها او فقدان القناعة بما يحصل له من الصور المكملة اياها نوعاً وكان لها ان تتحرك بنفسها الى اكتساب الصورة كما للحجر في اكتساب الاين (الانتهاء خ ل) ان كان فيها قوة محركة وليست خالية عن الصور كلها ولا يليق بها الملال للصورة الحاصلة فتعمل في نقضها ورفضها فان حصول هذه الصورة ان كان موجباً للملال لنفس حصولها وجب ان لا يشتاق اليها وان كان لمدة طالت فيكون الشوق عارضاً لها بعد حين لا امراً في جوهرها و يكون هناك سبب يوجبه ولا يجوز ان يكون ايضاً غير قنعة بما يحصل بل مشتاقة الى اجتماع الاضداد فيها فان هذا محال والمحال ربما ظن انه ينساق اليه الاشتياق النفساني واما الاشتياق التسخيري فانما يكون الى غاية في الطبيعة المكملة والغايات الطبيعية غير محالة ومع هذا فكيف يجوز ان يتحرك الهيولى الى الصورة وانما تأتيها الصورة الطارئة من سبب يبطل صورتها الموجودة لا لأنه يكتسبها بحركتها ولو لم يجعل هذا الشوق الى الصورة المقومة التي هي كمالات اولى بل الى الكمالات الثانية اللاحقة لكان تصور معنى هذا الشوق من المتعذر فكيف وقد جعلوا ذلك شوقاً لها الى الصورة المقومة .

قال صدر الدين في اول كلامه ان رأي شوق الهيولى الى الصورة مبنى على المكاشفات النورية والبراهين اليقينية بعد تصفية الباطن بالرياضات .

ثم قال بعد كلام الرئيس المذكور اني لاجل محافظتي على التأدب بالنسبة الى مشايخي في العلوم واساتيذي في معرفة الحقائق لست اجد رخصة من نفسي في كشف الحقيقة فيما اعترف مثل الشيخ الرئيس عظم الله قدره في النشأتين العقلية والمثالية بالعجز عن دركه

(١) في طبيعيات كتاب الشفاء .

والعسر في معرفته بل كنت رأيت السكوت عما سكت عنه اولى والاعتراف بالعجز عما عجز فيه لصعوبته وتعسره احرى وان كان الامر عندي واضحاً ومنقحاً حتى اقترح علي بعض اخواني في الدين واصحابي في ابتغاء اليقين ان اوضح بيان الشوق الذي اثبته افاخم الحكماء القدماء واكابر العرفاء من الاولياء في الجوهر الهيولاني واكشف قناع الاجمال عما اشاروا اليه واستخرج كنوز الرموز فيما ستروه وافصل ما اجملوه واظهر ما كتموه من التوقان الطبيعي في القوة المادية فالزمني اسعافه لشدة اقتراحه والجأني في انجاح طلبته لقوة ارتياحه فاقول من الله التأييد والتسديد : انه لا بد من وضع اصول لتحقيق هذا المقام تمهيداً وتأصيلاً .

(١) ان الوجود حقيقة واحدة عينية ليس مجرد مفهوم ذهني ومعقول ثانوي كما زعمه المتأخرون وان الاختلاف في مراتبه وافراده ليس بامور فصلية او عرضية بل بتقدم وتأخر وكمال ونقص وشدة وضعف وان صفاته الكمالية من العلم والقدرة والارادة هي عين ذاته لان حقيقة الوجود وسنخه وتجوهره مبدأ لسائر الكمالات الوجودية فاذا قوي الوجود في شيء من الموجود قوي معه جميع صفاته الكمالية واذا ضعف ضعفت .

(٢) ان حقيقة كل ماهية هي وجودها الخاص الذي يوجد به تلك المهية على الاستتباع وان المحقق في الخارج والفائض عن العلة لكل شيء هو نحو وجوده . واما المسمى بالمهية فهي انما توجد في الواقع وتصدر عن العلة لا لذاتها بل لاتحادها مع ما هو الموجود والمفاض بالذات عن السبب والاتحاد بين الماهية والوجود على نحو الاتحاد بين الحكاية والمحكي والمرآة والمرئي فان ماهية كل شيء هي حكاية عقلية عنه وشبح ذهني لرؤيته في الخارج وظل له .

(٣) ان الوجود على الاطلاق مؤثر ومعشوق ومشتوق اليه واما الآفات والعاهات التي تتراءى في بعض الموجودات فهي اما راجعة الى الاعدام والقصورات وضعف بعض الحقائق عن احتمال النحو الافضل من الوجود . واما انها ترجع الى التصادم بين نحوين من الوجود في الاشياء الواقعة في عالم التضايق والتصادم والتعارض والتضاد .

(٤) ان معنى الشوق هو طلب كمال ماهو حاصل بوجه وغير حاصل بوجه فان العادم لامر ما رأساً لا يشتاقه ولا يطلبه اذ الشوق للمعدوم والمحض والطلب للمجهول المطلق

مستحيل وكذا الواجد لامر ما لا يشتاقه ولا يطلبه لاستحالة تحصيل الحاصل انتهى ٠

وعلى مذهبه ان الوجود الكامل الذي لا نقص فيه هو الله وهو على ذلك لا يطلب شيئاً وينبغي ان يشتاق اليه الوجود الذي احتمل بواسطة حوصلة ذواتها ووعاء وجوداتها مرتبة دون مرتبة الواجب اي مرتبـة ناقصة وقال اذا تمهدت هذه الاركان والاصول فنقول اما اثبات الشوق في الهيولى الاولى فلان لها مرتبـة من الوجود وحظاً من الكون كما اعترف الشيخ الرئيس وغيره من محصلي اتباع المشائين ومرتبتها في الوجود مرتبة ضعيفة وعبارة عن قوة وجود الاشياء الفائضة عليها المتحدة بها اتحاد المادة بالصورة في الوجود واتحاد الجنس بالفصل في المهية واذا كان لها نحو من الوجود وقد علم بحكم المقدمة الاولى ان سنخ الوجود واحد ومتحد مع العلم والارادة والقدرة من الكمالات اللازمة للوجود اينما تحقق وكيفما تحقق فيكون لها نحو من الشعور بالكمال شعوراً ضعيفاً على قدر ضعف وجودها الذي هو ذاتها وهويتها بحكم المقدمة الثانية فيكون لاجل شعورها بالوجود النـاقص لها طالبة للوجود المطلق الكامل الذي هو مطلوب ومؤثر بالذات للجميع بحكم المقدمة الثالثة ٠

ولما كان بحكم المقدمة الرابعـة كل ما حصل له بعض الكمالات ولم يحصل له تمامه يكون مشتاقاً الى حصول ما يفقد منه شوقاً بازاء ما يحاذي ذلك المفقود ويطابقه وطالباً تتميم ما يوجد فيه لحصول ذلك التمام فيكون الهيولى في غاية الشوق الى ما يكمله ويتممه من الصور الطبيعية المحصلة اياها نوعاً خاصاً من الانواع الطبيعية ٠

(ايضاح لهذا الرأي) : يتم وضوح هذا الرأي بان نذكر معنى الهيولى المستعمل في الفلسفة الاغريقية وهي لفظ يوناني معناه الاصل والمادة ٠

وعرّفه الرئيس ابن سينا في رسالة الحدود بقوله : الهيولى المطلقة هي جوهر ووجوده بالفعل انما يحصل بقبول الصورة الجسمية بقوة فيه قابلة للصور وقال ايضاً في حدّ المادة ان المادة قد تقال اسماً مرادفاً للهيولى وهي تطلق في الفلسفة الاغريقية والاسلامية على أصغر ذرة من المادة وهي التي يطلق عليهـا العلم الحديث بهبيات او (اتوم) وهي الذرة الصغيرة التي لا تراها العين المجردة لصغرها ٠ يقول ابن رشد الفيلسوف في كتابه ما بعد الطبيعة (الهيولى) الاولى غير مصورة والا لا تحقق في عالم المادة لما لا صورة له ولذلك قال الرئيس في كلامه السابق لا خلوّ لها من الصورة فاذا تحقق هذا فروح هذا المذهب

الفلسفي . ورأى صدرالدين ان ذرات المادة مطلقاً المعبر عنها بالهيولى ذات شعور وحس لان لها حظاً من الوجود والوجود نفسه كما تحقق في الاصل الاول الذي مهده صدرالدين له متحد مع العلم والارادة والقدرة اينما ظهر في أصغر ذرة في المادة او اكبر جرم من الفلك فلها نحو من الشعور بالكمال كما صرح في كلامه وهذا الرأي هو نفس رأي (جاجاديس بوز) العالم النباتي الهندي في احساس الجماد والنبات وان المادة سواء اكان انساناً عاقلاً ام حديداً جامداً ام نباتاً او صخراً تحس .

اذا كشف بوز حس المادة بقوة جهازه (الكوسكوغراف) المغناطيسي الذي يجعل الحركات التي لا ترى بالعين المجردة اكثر وضوحاً بخمسين الف الف ضعف فقوة جهاز دماغ هؤلاء الفلاسفة الذين ذهبوا بهذا المذهب وسعة فكرهم لايقل عن قوة جهاز (بوز) والفضل بين فلاسفة الاسلام في انارة برهان هذا الرأي لصدر الدين وهو الفيلسوف الاسلامي الوحيد الذي اطلع هذا النور في سماء العلم والعجب ان مبنى رأي العالمين صدر الدين وبوز شيء واحد يقول بوز في احدى محاضراته عندماشاهدت هذه المشاهدات وجربت ضروب التجارب المختلفة وفهمت حس المادة ورأيت فيها وحدة شاملة ينطوي فيها كل شيء ورأيت كيف ان الذرة ترتعش في موجات الضوء وكيف ان ارضنا تعج عجيجاً بالحياة وتلك الشموس المتسعة التي تضيء فوقنا عندئذ ادركت قليلاً من مغزى تلك الرسالة التي بشر بها اسلافي منذ ثلاثين قرناً على شطوط نهر (الكنج) وهم اولئك الذين لا يرون في جميع الظواهر المتغيرة في هذا الكون سوى واحد فقط اولئك وحدهم يعرفون الحقيقة الازلية .

و يقول صدر الدين ان الوجود حقيقة واحدة والاختلاف بين افراده ومراتبه ليس بتمام الذات والحقيقة بل بتقدم وتأخر وشدةٍ وضعفٍ وكمالٍ ونقص وان الصفات الكمالية من العلم والقدرة والشعور والارادة عين ذاته .

فنصيب الوجود الضعيف وذرة المادة من العلم والشعور والارادة على قدر وجوده ونصيبه من نفس الوجود .

(خاتمة في رأيه في العشق) : بحث في العشق وجعل عنوان البحث قوله فصل في ذكر عشق الظرفاء والفتيان للاوجه الحسان . وذكر اختلاف الآراء في حسنه وقبحه

وهل هو فضيلة او رذيلة . ثم قال والذي يدل عليه النظر الدقيق والمنهج الانيق وملاحظة الامور عن أسبابها الكلية ومباديها العالية وغاياتها الحكمية ان هذا العشق أعني الالتذاذ الشديد بحسن الصورة الجميلة المفرطة لمن وجد فيه الشمائل اللطيفة وتناسب الاعضاء وجودة التركيب لما كان موجوداً على نحو وجود الامور الطبيعية في نفوس اكثر الامم من غير تكلف وتصنع فهو لا محالة من جملة الاوضاع الالهية التي يترتب عليها المصالح والحكم فلا بد ان يكون مستحسناً محموداً ولا سيما قد وقع من مباد فاضلة لاجل غايات شريفة . اما المبادي فلانا نجد اكثر نفوس الامم التي لها تعليم العلوم الدقيقة والصنائع اللطيفة والآداب والرياضات مثل اهل فارس واهل العراق واهل (الشام) والروم وكل قوم فيهم العلوم الدقيقة والصنائع اللطيفة والآداب الحسنة غير خالية عن هذا العشق الذي منشؤه استحسان شمائل المحبوب ونحن لم نجد احداً ممن له قلب لطيف وطبع رقيق وذهن صاف ونفس رقيقة خالياً عن هذه المحبة في أوقات عمره لكن وجدنا سائر النفوس الغليظة والقلوب القاسية والطبائع الجافية من الاكراد والزنج خالية عن هذا النوع من المحبة .

وقال وبما ان هذه الرغبة والمحبة مودعة نفوس اكثر العلماء والظرفاء فلابد لها من غاية وجعل من غاية العشق تعليم الصبيان والغلمان العلوم الجزئية كالنحو واللغة والبيان والهندسة وغيرها والصنائع الدقيقة والآداب الحميدة والاشعار اللطيفة الموزونة والنغمات الطيبة وتهذيبهم بالاخلاق الفاضلة وسائر الكمالات النفسانية فهذا العشق بما فيه تكميل النفوس الناقصة وتهذيبها من فائدة حكمية وغاية صحيحة لا بد ان يكون معدوداً من الفضائل والحسنات لا من الرذائل والسيئات .

وفي الانسان اثر جمال الله وجلاله واليه الاشارة في قوله تعالى (ولقد خلقنا الانسان في احسن تقويم) وقوله تعالى (ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله احسن الخالقين) وقسم العشق بقسمين حقيقي ومجازي والاول هو محبة الله وصفاته وافعاله من حيث هي . والثاني ينقسم الى نفساني وحيواني الثاني سببه فرط الشهوة الحيوانية ومبدؤه شهوة بدنية وطلب لذة بهيمية ويكون اكثر اعجابه بظاهر المعشوق ولونه واشكال اعضائه لانها امور بدنية وهو لا يعد فضيلة .

والاول سببه استحسان شمائل المحبوب المعشوق وجودة تركيبه واعتدال مزاجه وحسن اخلاقه وتناسب حركاته وافعاله وغنجه ودلاله ومبدئه مشاكلة نفس العاشق والمعشوق في الجوهر و يكون اكثر اعجابه بشمائل المعشوق لانها آثار صادرة عن نفسه فهذا العشق يرقق القلب و يذكي الذهن و ينبه النفس على ادراك الامور الشريفة وقال : ولاجل ذلك امر المشايخ (اي الصوفية) مريديهم في الابتداء بالعشق وقيل العشق العفيف اولى سبب في تلطيف النفس وتنوير القلب وفي الاثر ان الله جميل يحب الجمال ·

ثم قال ينبغي استعمال هذه المحبة في أواسط السلوك العرفاني وفي حال ترقيق النفس وتنبيهها من نوم الغفلة ورقة الطبيعة ·

وأما عند استكمال النفس بالعلوم الآلهية وصيرورتها عقلاً بالفعل محيطة بالعلوم الفلكيــة ذات ملكة الاتصال بعالم القدس فلا ينبغي لها عند ذلك الاشتغال بعشق هذه الصورة الحسنة اللحمية والشمائل اللطيفة البشرية لان مقامها صار أرفع من هذا المقام · وسرد الاقوال في ان العشق هل هو فضيلة او رذيلة او مرض :

ثم قال ومنهم من قال ان العشق هو افراط الشوق الى الاتحاد واستجود هذا الرأي ثم قال ولما كان العشق من آثار النفوس فالاتحاد يصير كما بينت في مباحث العقل والمعقول اتحاد النفس العاقلة بصورة العقل واتحاد النفس الحساسة بصورة المحسوس بالفعل فعلى هذا المعنى يصح صيرورة النفس العاشقة لشخص متحدة بصورة معشوقها وذلك بعد تكرير المشاهدات وتوارد الانظار (النظرات) وشدة الفكر والذكر في أشكاله وشمائله حتى تصير متمثلة صورية حاضرة مندرجة في ذات العاشق وهذا ما أوضحنا سبيله وحققنا طريقه ·

وقال ان العشق بالحقيقة هو الصورة الحاصلة وهي المعشوقة بالذات لا الامر الخارجي · وقال اذا تبين ووضح اتحاد العاقل بصورة المعقول واتحاد الجوهر الحساس بصورة المحسوس فقد صح اتحاد نفس العاشق بصورة معشوقه بحيث لم يفتقر بعد ذلك الى حضور جسمه والاستفادة من شخصه كما قال الشاعر :

انا من أهوى ومن أهوى انا   نحن روحان حللنا بدنا
فاذا أبصرتني أبصرته   واذا أبصرته أبصرتنا

وخصص قسماً من العشق وهو عشق الآله الذي هو العشق الحقيقي بالعلماء المتألهين المتفكرين في حقائق الوجود وهم المشار اليهم في قوله تعالى (يحبهم و يحبونه) ٠

وهنالك نبض عرقه البانتيستي وقال فانه في الحقيقة ما يحب الا نفسه لا غيره فالمحب والمحبوب شيء واحد في الطرفين ٠

ونسب رضا قليخان هدايت هذا الرباعي اليه :

انان كه ره دوست گزيدند همه   در كوي شهادت ارميدند همه
درمعركه دو كون فتح ازعشق است   هر چند سپاه او شهيد ند همه

حاصل معنى الرباعي ان الفتح في النشأتين الدنيوية والاخروية للعشق وان كان جنده صريعاً في معركة الغرام اه ٠

ابو عبد الله الزنجاني

عضو المجمع العلمي



(المجمع) اذا كان في هذه الرسالة غلط بعد العناية بتصحيحها فليس هو من الطابع ولا من المؤلف بل من تلميذ المؤلف الذي نسخ له اصول رسالته ٠

العلامة السيد مسعود الكواكبي



نسبه ونشأته — هو محمد مسعود ابوالسعود ابن الشيخ احمد بهائي بن محمد مسعود ابن الحاج عبد الرحمن ابن الحاج محمد بن محمد ابن الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن احمد بن محمد ابن احمد بن يحيى بن محمد الشيخ ابي يحيى الكواكبي دفين الجامع المعروف به في محلة الجلوم الصغرى ابن برهان الدين ابراهيم بن علاء الدين علي ابن شيخ المشايخ والعارفين صدر الدين موسى الاردبيلي ابن الشيخ صفي الدين اسحاق الاردبيلي ابن الشيخ امين الدين جبريل بن الشيخ صالح ابن الشيخ ابي بكر قطب الدين احمد حيدر ابن الشيخ صلاح الدين رشيد ابن الشيخ محمد الحافظ ابن الشيخ عوض الخواص ابن الشيخ فيروز شاه البخاري ابن الشيخ محمد المهدي ابن بدر الدين حسن شرف شاه ابن ابي القاسم محمد بن ثابت بن

حسين بن احمد بن الامير داود بن علي بن الامام موسى الثاني ابن الامام ابراهيم المرتضى ابن الامام موسى الكاظم ابن الامام جعفر الصادق ابن الامام محمد الباقر ابن الامام علي زين العابدين بن الامام الحسين السبط ابن الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي عنهم · وآل الكواكبي قطنوا حلب منذ خمسة قرون وانجبوا اعلاماً في العلم والفضائل ·

ولد السيد مسعود في الثلاثين من شعبان سنة احدى وثمانين ومائتين والف وحفظ نحو النصف من القرآن العظيم وقرأ العلوم العربية والمنطق والفقه الحنفي على والده وعلى الشيخ محمد الكحيل والشيخ عبد القادر الحمصي وتعلم مبادئ التركية والرياضيات واللسان الفرنسوي في المدرسة الرشدية الرسمية بحلب ثم استزاد من الفرنسية قراءة وكتابة على معلمين مخصوصين اكب على المطالعة فأكمل التركية وحصل من الفنون العصرية مثل الطبيعيات والهندسة والجغرافيا والتاريخ والهيئة على حظ وافر وتعلم الخط عند الشيخ محمد العريف في المدرسة الشرفية حينما كان يعلم فيها و برع في انواعه الثلاثة و بالممارسة تعلم الخط الفارسي والديواني ثم سمت نفسه الى تعلم الخط العبراني والرومي والارمني ·

وظائفه واعماله — كانت اول وظيفة وظفها وظيفة معاون محرر المقاولات وذلك في ٤ جمادى الاولى سنة ١٢٩٧ وفي غرة جمادى الثانية من سنة ١٣٠١ عين الى ترجمة محكمة التجارة · وفي ١٧ من المحرم من سنة ١٣٠٨ رقي الى رئاسة الكتاب فيها · وفي ١٣ من ربيع الاول سنة ١٣١٢ طلب الى الاستانة وهنالك اقترح عليه انشاء جريدة تدعى (استقامت) امر السلطان عبد الحميد الثاني باصدارها باللغتين العربية والتركية لتدافع عن ادارته فذهب واجتهد في التنصل من هذا التكليف ·

وفي ٢٥ ربيع الاول سنة ١٣١٤ عين مرة ثانية الى رئاسة الكتاب في محكمة التجارة وبقي الى ٢ ربيع الاول سنة ١٣١٩ وعين عضواً في هيئة تدقيق المؤلفات في نظارة المعارف الى ان الغيت هذه الهيئة باعلان الدستور العثماني · وفي سنة ١٣٢٦ ﻫ صدر الامر بافتتاح مجلس النواب العثماني وكان المترجم في مقدمة من توجهت الانظار لانتخابه وذلك لما علم من مقدرته وكفاءته واستقامته فانتخب نائباً عن الشهباء · وكان من اعضاء الحزب الحر المعتدل

ثم عند الغاء هذا الحزب وتأليف حزب الحرية والائتلاف كان من اعضائه وصدر باسمه بضعة اعداد من جريدة للحزب دعيت (تقديرات) ثم الغتها حكومة الاتحاديين وبقي السنين الاربع التي هي الدورة الاولى . وفي ٢٢ ربيع الاول سنة ١٣٢٧ عين نقيباً لاشراف حلب وبقي فيها الى غاية جمادى الآخرة سنة ١٣٣٨ .

وعلى اثر خروج الدولة التركية من حلب وحدت محكمتا الحقوق والجزاء فجعلتا محكمة واحدة وانتخب الى رئاستها فلم يقبلها ثم عين مديراً للاوقاف في ٢٩ محرم سنة ١٣٣٧ فبقي فيها عشرين يوماً واستعفى وكان اثناءها قد انتخب الى رئاسة نادي العرب فبقي فيها نحو ستة اشهر ثم تجرد عن كل عمل .

وفي سنة ١٩٢٣م انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق وكان يعهد اليه النظر في بعض الكتب المطبوعة التي ترد الى المجمع فيكتب عليها كتابة خبير بصير ويبين كثيراً مما وقع فيها من الاغلاط مما يدل على تضلعه من اللغة والادب . وفي شعبان سنة ١٣٤٠ اجتمعت جمعية من المفكرين فانتخبته في اثني عشر للمداولة فيما يجب عمله اصلاحاً للحالة الوطنية فقرروا مطالب ثلاثة وكتبوها فوقع عليها اهل الطبقة الاولى والثانية من الحلبيين وكان لها تأثير بتوحيد سورية بعد تفريقها الى دول . وفي الشهر المذكور اجتمع كبار متولي الاوقاف واسسوا نقابة للمتولين فانتخب للهيئة الادارية . ولما تألفت حكومة الاتحاد في ذي الحجة من هذه السنة عين كاتماً لاسرار الرئاسة فبقي الى جمادى الثانية من سنة ١٣٤١ ثم تقلد عضوية محكمة التمييز في دمشق فقام باعبائها احسن قيام وقد جمع الى الاستقامة وشرف النفس دقة النظر وسرعة الخاطر وعلو الهمة ولم يزل في هذه الوظيفة الى ان صرف عنها بانفضاض محكمة التمييز بامرها وذلك في ١٣ ذي الحجة سنة ١٣٤٧ و ٣٠ حزيران سنة ١٩٢٩ وعين قاضياً لحلب فابى ولزم بيته .

بعض صفاته العلمية — تولى مترجمنا خطابة جامع اوغلبك منذ سنة ١٣٠٥ ولم يكن مسلكه في الخطبة مسلك الجمهور من تلاوة بعض المواعظ المدونة المسجعة التي حفظها الناس بل كان في كل جمعة يخطب في موضوع اجتماعي له مناسبة بما عليه الناس من عادة سيئة فلذلك كان المستمعون يلقون الى خطبته السمع .

وله كنثره شعر لطيف منسجم قليل التكلف فيه بعيد عن الألفاظ الغريبة يتوخى ان يفهمه العوام بسهولة وهو مجموع في ديوان . فمن نظمه في مطلع قصيدة غزلية :

قسماً بادعج مقلتيه وجفنه هذا هو السحر الحلال بعينه
ان كان من شأن الغزال نفوره فهل القتال بمرهف من شأنه

ومنها : لاشيء أثقل في الهوى من عاذل قد راح معتماً بما لم يعنه

ومنها : هو ليس يدري ما الهوى وانا الذي قد زدت في شرح الهوى عن متنه
ان كان غيري عاصراً خمر الهوى فلقد سكرت بصرفه من دنه

وله مطلع قصيدة حكمية :

ما في زمانك من بحق ينطق فانظر اذا حدثت كيف تصدق
ولقد فشا داء الخيانة في الملا حتى باورعهم غدا لا يوثق
الفوا الفسوق فان يروا ذا عفة نقموا عليه انه لا يفسق
والفخر عندهمو لمن هو ذو غنى ان كان ينفق منه او لا ينفق
والناس ما لم تدعهم لملمة ما فيهمو الا المحب المشفق
فاذا دعوتهمو لخطب لم تجد احداً كأن جميعهم لم يخلقوا
من رمت منهم ان تبث بعقله نور الحقيقة قال هذا أحمق
وتراه ان حدثته بخرافة يهتز من طرب لها ويصفق
كم من ظلوم ليس يقعده سوى عجز وما يبديه فهو تخلق
فاذا تولى الامر أظهر خلقه وهناك أخلاق الرجال تحقق
ولرب مفساق تراه صويلحاً فالسر في ان الصويلح عملق
ان رمت كشف السر فاملأ كيسه وانظر أيفسق بعد ام يتصدق

وختامها كلا تراه يذم خلق رفاقه والكل من ماء السفاهة قد سقوا

وقال على أسلوب الصوفية من قصيدة :

افرحا لي ما ازداد شوقي اوارا فتمام الوصال يوم أوارى
كل حال ما ازددت فيه هياما انا منها استغفر استغفارا
حالتي في الغرام أعجب حال ليس بدعاً للعقل بي ان يحارا

رام غيري عمن أحب سلواً　　ورأيت السلوان عنه خسارا
انا أدعو لحبه كل فرد　　واذا ما سواي شارك غارا
عشق العاشقون ذاتاً رأوها　　وانا اليوم أشهد الآثارا
كلما ازددت في المحبة قربا　　زادني قربه جوى واستعارا

وقال وقد اخذ منها شقيقه المرحوم السيد عبد الرحمن الكواكبي سبعة أبيات تمثل بها في مطلع كتابه (أم القرى) :

دراك فمن يدنف لعمرك يدفن　　وما نافع نوح متى قيل قد فني
دراك فان الدين يزداد وهنه　　وقد صار فرضاً رأب هذا التوهن
هلم الى فرض التعاون انه　　باهماله اثم على كل مؤمن
وان الذي الأسياف شادته قبلكم　　هو اليوم لا يحتاج الا لألسن
الى مَ نماشي الغرب فيما يشيننا　　حنانيك ان المرءَ عبد التمرن
لقد شابنا نحن الحنيفين ملة　　مفاسد ما يدعونه بالتمدن
اذا كان نبذ الدين يدعى تفننا　　فيا بئسما يسري لنا من تفنن
ومهما اجتنوا منا خلالاً حميدة　　فنحن سوى سفسافهم ليس نجتني
وكم خصلة للبعض زين ومدحة　　وفي جنب بعض مطعن اي مطعن
وقد كان عاراً نزع ثوب وعمة　　فما القول ان نقفوهمو بالتدين
همو أسرفوا لكن بمشار ربعهم　　ومن يغن رأس المال يفلس ويسجن
أنرجو واهل العلم أحلاس بيتهم　　شفاء لداء قد عرا الدين مزمن
وكان يعد العلم للصدر زينة　　وما لا به اصلاح عيش ومسكن
فكان له اهل يوفون حقه　　بهدي وتلقين وحسن تلقن
وما هان الا عندما هان نيله　　وكان عزيزاً قبل ذا غير هين
متى كان هذا العلم ارثاً ومنحة　　ومن لم يمان العلم يلحد ويلحن
لقد ذل قوم خدمة العلم عندهم　　تناط بذي جهل لها غير محسن

وللمترجم به تفسير القرآن الحكيم مكتوب بخط يده على هامش المصحف الشريف الذي

كان يقرأ به . وله مولد شريف في ١٥ صحيفة سماه المولد المسعودي طبعه في بيروت في المطبعة الاهلية سنة ١٣٣٦ .

وفاته وأخلاقه — ابتدأ به المرض بالتهاب امعاء بسيط لم يدم اكثر من ثلاثة ايام وشفي منه تماماً لكن نوبة جديدة أصابته في الدماغ على اثر التوعك والضعف الذي أصابه من التهاب المعى ، وهذه النوبة تدعى في الطب (نزيف دماغي) لبث فيها مغمىً عليه لا حسّ به ولا حركة مدة اسبوع كامل ، ثم توفي ليلة الجمعة خامس عشر ربيع الثاني سنة ١٣٤٨ و١٩ ايلول سنة ١٩٢٩ ودفن حسب وصيته في اقرب تربة من البيت الذي يقطنه وهي تربة نبي الله ذي الكفل عليه السلام في جبل قاسيون بصالحية دمشق .

كان رحمه الله مربوع القامة حنطي اللون نحيف الجسم ازج الحاجبين اسود العينين تشفان عن زكاء مفرط وقلب زكي دمث الاخلاق كثير البشر عند الملاقاة متأنيا في اقواله وافعاله يأتيك بفصل الخطاب بعد ترو قليل محبوباً عند الجمهور من المسلمين وغيرهم لحسن سلوكه في كل عمل وليه فلم تكن تطلق حرية الكلام والانتخاب للناس مرة الا وكان في مقدمة من يرشح وينتخب للعمل ولكن لما كان يعقب ذلك تسلط المتسلطين على حرية النـاس وعلى المناصب كان ينسحب ولا يزاحم . وكان محباً للنفع العام لا يدع فرصة يؤمل منها خدمة البلاد الا انتهزها فمن ذلك يوم اعلان الدستور العثماني سنة ست وعشرين وثلاثمائة اذ كان في الاستانة فانه خاف من سوء تفسير الحوادث التي حدثت وعودها على الموضوع بالعكس فاسرع الى كتابة تفاصيل الوقائع في رسائل طويلة يبعث بها الى بعض احبائه ولما رأيت ان فيها تهدئة للافكار جعلت اطبعها واذيعهـا على الناس في حلب فكان لها احسن وقع لما هو معهود في المترجم من صدق الحديث والوقوف على الحقائق واطمأن الناس اليها وانتصح الكثيرون ممن لم يكونوا يعلمون ما هي الحرية فيظنونهـا شيئاً من الفوضى وخلع العذار . وكان رحمه الله متحلياً بالتقوى متمسكاً بالدين والصلاح صفة ذاتية له . وحسن المعاملة امر طبيعي فيه . لاترى فيه شيئاً من العوج الذي عليه بعض ذوي المعرفة او مدعيها من اهل هذا العصر ، مبغضاً لمن كان على هذه الصفة مؤنباً له . بيد انه لم يكن له من الجرأة الادبية ما كان لاخيه المرحوم السيد عبد الرحمن

وقد ليم على صمته في المجلس النيابي الذي كان انعقد في الاستانة عدة سنوات فاعتذر عن ذلك بابيات . وبالجملة فقد كان حسنة من حسنات الشهباء . ودرة فريدة في تاج البلاد الشامية كان له هدي السلف وعلم السلف والخلف وهو امام في القانون والشريعة متمكن من الآداب العربية شهدت له مواقفه في جلسات المجمع العلمي ومجلته وفي المجمع انبعثت قريحته العلمية كما انبعثت في محكمة التمييز تدقيقاته الشرعية والمدنية ولا عجب ان عظم الخطب به وفجع به عارفو فضله فقد كان مثال العالم العامل متميزاً باخلاقه قليل المطامع زاهداً في الظهور رحمه الله عداد حسناته .

محمد راغب الطباخ
عضو المجمع العلمي



فصح وشوارد

راعت الارض وأرعت : كثر فيها المرعى . وأروت : كثر فيها شجر الراء .

واروضت كثر فيها الرياض . وأحمضت : كثر فيهـا الحمض وهو ماملح وامر من النبات وهو كفاكهة الابل تأكله عند سآمتها من الخلة وهي ما حلا من النبات وهو كخبزها وهي متى شبعت من الخلة مالت الى الحمض فكأنها تهضم به .

واخملت كثرت خمائلها والخميلة هي الشجر الكثير الملتف حيث كان — والموضع الكثير الشجر .

وأعضّت : كثر عِضُّها وهو ما صغر من شجر الشوك وقيل هو الطلح والعوسج والسلم والسيال والسرح والعرفط والسمُر والشبهان والكنهبل .

وأعضهت : صارت عضهة اي كثيرة العضاه وهو كل شجر يعظم وله شوك وما صغر من شجر الشوك فهو العض .

وأشوكت : كثرفيها الشوك . وَغدِرت : كثرفيها الغدر وهي الحجارة مع الشجر .

وأنصت : كثر نصيها وهو نبت سبط من افضل المراعي مادام رطباً فاذا ابيض فهو الطريفة فاذا ضخم و يبس فهو الحلي

وكلأت وكلِئت وأكلأت : كثر كلأها ومثله استكلأت .

وأكأت : كثر بها الكمء .

وغضيت : كثر فيها الغضا وهو شجر عظيم من الاثل واحدته غضاة وخشبه من اصلب الخشب ولهذا يكون في فحمه صلابة وهو حسن النار وجمره يبقى زماناً طويلاً لا ينطفئ . وهو مكان مكلئ وارض مُكلئة ومَكلأة وارض مِقصاب ومَقصبة . ومَبهمة . ومفواة اي كثيرة الفوة . ووثيقة اي كثيرة العشب موثوق بها .

ومغروداء اي كثيرة المغاريد وهي ضرب من الكمأة . وغضياء كثيرة الغضا .

ومصلاة كثيرة الصلّيان وهو نبات . وملازة كثيرة شجر اللوز . ومألاة كثيرة الألاء وهو شجر مر دائم الخضرة . وحليفة كثيرة الحلفاء وهو نبت أطرافه محددة كأنها أطراف سعف النخل والخوص ينبت في مغايض الماء والنزوز الواحدة حلفة وقيل واحدته

حلفاء . وَطليح كثيرة الطلح . وحميضة كثيرة الحمض . ومسبطة كثيرة السبط وهو نبات كالدخن مرعى جيد . وخضرة كثيرة الخضرة واليخضور . ومبطخة كثيرة البطيخ . ومدلبة كثيرة الدلب وهو شجر عظيم عريض الورق لا زهر له ولا ثمر . ومرمنة كثيرة الرمان . ومحلَسة : صار النبات عليها كالحلس لكثرته . ومخِلَّة كثيرة الخلّة ليس فيها حمض . ومرطبة كثيرة الرطب اي العشب . وشجراء كثيرة الشجر وكذلك الشجِرة . والشجيرة والمشجرة . والثمراء الكثيرة الثمر . ومتانة كثيرة التبن . وغضياء كثيرة الغضا . ومذفورة : كثرت فيها البقول الذفراء . ومربال كثيرة الربل . ومُشرسة وشرِسة كثيرة الشرس . ومجبأة كثيرة الجبأة . ومحِش ومحَشّة ومحِشّة اي كثيرة الحشيش . وعاشبة وعشيبة كثيرة العشب . ومنبات كثيرة النبات . وأَركة كثيرة الاراك . ومجازة كثيرة الجوز .

وقالوا أدبت الارض : كثر دباها والدبى الجراد والنمل الواحدة دباة . وأذأبت صار فيها ذئاب . وأذبّت : صارت ذات ذباب . وأفرشت : كثر فراشها . وضبُبت صارت مضبّة . و برغثت كثر فيها البرغوث . وبقّت وبقّقت وأبقّت كثر بقّها . وهي أرض محياة اي ذات حيات . ومسبعة اي تكثر فيها السباع . ومدرجة كثر فيها طائر الدُرّاج . ومذأبة ذات أذياب . ومدباة ومدبية كثيرة الدبى . ومداكة ومديكة كثيرة الديكة . ومذابة فيها ذئاب . وذبوبة ومذبّة ومذبذِبة ومذبّة اي ذات ذباب . ومربعة ذات يرابيع . ومرنبة ومؤرنبة كثيرة الارانب . ومزبرة كثيرة الزنابير . ومعقرة كثيرة العقارب .

النبك : سالم خليل رزق

آراء وافكار

حاجة الحروف العربية الى الاصلاح

كل غيور على اللغة العربيـة يحس بالحاجة العظمى الى وجوب اصلاح حروفهـا التي اصبحت عقبة في سبيل ترقية اللغة وسبباً قويا من اسباب انتشار الأمية بين ابنائها في عصر يقاس رقي امه بعدد القارئين فيها وماذلك الا لصعوبة تعلمها واتقان ربط بعضها ببعض اضف الىذلك ما يحدثه تنوع تلك الحروف وعدم تناسبها وما توجبه قواعدالخط الفنية من تعدد حروف مطبعتهـا حتى تكاد تناهز الاربعمائة علاوة على ضخامة اجسام الحروف فان العادي منها وهو الذي تستعمله الجرائد لا يقل عن ١٨ بنطاً والمسبوك منها على جسم ١٢ بنطاً لا يكاد يقرأ بل لايكاد يسلم السطر منـه من غلطة مطبعية وهنـاك عقبات اخرى كثيرة لا يدركها الا من عانى صف الحروف كتعدد بيوت الصندوق واستحضار الحروف المركبة من حرفين وثلاثة لتلائم قواعدالخط واختيار الحروف المختومة او المفتوحة حسبما تقتضيه الحروف التي تليهـا كما يقرره الخطاطون والمرتبون الفنيون الى مالا يحصى من تعب على العامل وضياع وقت وزيادة سطور في الصفحات وبذلك تتكاف نفقات الطبع وترتفع اثمان الكتب عن متناول عامة الناس خصوصاً الطلبة والصغار الذين هم احوج الكل الى المطـالعة لتغذية عقولهم وتنمية مداركهم كما انهم احوج النـاس الى الاقتصـاد لقلة ذات ايديهم . وما نقوله عن المطبعة ينطبق ايضاً على الآلة الكاتبة (تايبرايتر) بل هي اولى ان يعتني بها فالتايبرايتر العربية اليوم على مابذل فيهـا من جهود وتحسين لا اهمية لهـا ولا يدفع النـاس الى استعمالها الا التقليد والفخفخـة اذ لا فوائد جوهرية تترتب على استعمالها لكثرة ما يقع فيها من الاغلاط للكاتبين المتوسطين في المهارة وهم الاكثر علاوة على قلة جمال حروفها لشذوذها عن قواعد الخط الجميل بسبب اضطرار صانعيها الى اختصارها وصنع حروفها متناسبة مع انها لاتتناسب بطبيعتها . وثالثة الاثافي صعوبة التعلم فيها وكلنا يعلم ان التلامذة يصرفون وقتاً غير قليل على تهجئة الحروف وربطها واملائها وفي ذلك ما فيه من ضياع وقت وتعب .

ولئن كان آباؤنا استطاعوا ان ينشروا الثقافة العربية ومن جملتها الحروف العربية في كثير من الامم التي اخضعوها فلأن السلطة كانت بايديهم ولأن حاجات تلك العصور لاتقتضي الاقتصاد في الوقت والمال كما يقتضيه العصر الحالي ولان الناس كانوا يعتنون بجمال الحروف اكثر مما يعتنون بجوهرها وفائدتها المعنوية ومن ذا الذي لايبهره جمال الخط العربي الذي هو تحفة من التحف التي تتجلى فيها الاذواق الشرقية باجمل مظاهرها ولكن الجمال شيء والمصلحة شيء آخر ومن الذي يؤثر الزوجة الجميلة الخاملة على العادية الصالحة الا اذا اتبع هواه وشهوته فهذا شيء آخر ، اما وقد تبدل الزمن ودالت دولتنا وذهبت السلطة من ايدينا واصبحنا محكومين بعد ان كنا حاكمين فقد توفرت عوامل اضمحلال تلك الثقافة اوالتراث المقدس اذا لم نتدارك النقص ونعالجه بحكمة واذا لم نستطع زيادة نشرها فلا اقل من ان ندافع عنها وندخل عليها الاصلاحات حتى تظل صالحة للبقاء ، وها قد كثر المتبرمون من ابناء اللغة نفسها فكيف بالاجنبي يا ترى ؟ فالعاقل البصير يعذر الكماليين في تركهم الحروف العربية واستعاضتهم عنها بالحروف اللاتينية وعذرهم انها لا تلائم الوقت الحاضر وهم يحاولون ان يعلموا الشعب التركي باسره ولا سبيل الى ذلك لصعوبة الحروف وتعدد تراكيبها وهي حقيقة يجب ان نعترف بها ونحسب حسابها ونسعى الى تلافيها لئلا نفقد امة اخرى من الامم التي تستعمل الخط العربي وهناك امة اسلامية غير الترك اخذت تترك الحروف العربية شيئاً فشيئاً ولن يمضي قليل من الزمن حتى تنقرض الحروف العربية عندها ونحن لانعلم بها لبعدها عنا وهي امة الملايو فاكثر بنيها اليوم اخذوا يكتبون بالحروف اللاتينية لان الحكومة الهولندية تشجعهم على ذلك ولها دعاة في كافة انحاء البلاد ولهم في وضعية الحروف العربية حجة قوية لدعم آرائهم ونشر دعوتهم ولقد رأيت واحداً من الملايو يكتب بكليهما ولكنه يؤثر الحروف اللاتينية على العربية وعلمت منه ان الناشئة الجديدة كلها على شاكلته وقد قال لي لولا اضطرارهم الى درس القرآن لما كانت هناك حاجة الى تعلم الحروف العربية اصلاً ! فاذا كانت بركة القرآن حالت دون خروج الملايو عن عائلة الخط العربي فماذا يمنع وثنيي السند الذين اخذوا يتركون خطهم العربي ويكتبون بخطهم السندي القديم المشتق من الحروف السنسكرتية للأسباب نفسها كما ان كثيراً من مسلمي الهند في داخلية الهند كبنارس وما جاورها يستعملون الحروف البالبندية المشتقة

من القلم السنسكريتي في لغتهم الاوردو وقلمها الاصلي عربي ولهم في ذلك مطـابع وجرائد حتى الكتب الدينية اخذوا يطبعونها بها ماعدا القرآن وبعض المناسك والخط السنسكريتي وما اشتق منه جميل الوضع متناسب الحروف يدعو الى نفسه بنفسه ومع انه لا يخلو من تعقيد وزوائد لا فائدة منها ولكن طريقة تهجئته متقنة جداً حتى ان المتعلم الاجنبي لايجد في نفسه حاجة الى مراجعة معلم ما في النطق بالكلمات بلا خطأ فلا شذوذ في قواعده ولا تشابه بين حركاته فما عليه الا ان يقتبس من القواميس متى اتقن الكتـابة والقراءة وقد يعترض على ذلك بان الحروف السنسكريتية تنـاهز الستين عداً ولكن من المعلوم ان مخارج الحروف عند الهنود عديدة فبعض الحروف لها ثلاثة مخـارج ولكل مخرج حرف يرمز اليه حتى ان المسلمين اضطروا ان يضعوا عدة علامات او حروف في اللغة الاوردو المكتوبة بالحروف العربية ولست اقصد تحبيذ الخط السنسكريتي ولكني اخشى ان يكون مصدر خطر على الحروف العربية في الهند أم الملايين من البشر وهو خط حي منتشر كثير الاستعمال مألوف يتعلمه اكثر المسلمين في الوقت الذي نرى فيه مجددي ايران يدعون الى العودة الى استعمال خطهم القديم الفهلوي الميت لبساطته وهذه الفكرة تكاد تملأ ادمغة الناشئة الايرانية ولولا سقوط الملك أمان الله خان لكانت البلاد الافغانية اليوم أو في القريب العاجل تحذو حذو الاتراك ، ولقد اسهبت في الموضوع لأبين الخطر المحدق بالخط العربي وسوف يعود غريباً كما بدأ الى اهله هذا اذا لم يمنَ بحكام طائشين مقلدين او حكومات اجنبيـة مستعمرة كالحكومة الهولندية فهنـاك الطـامة الكبرى والقضاء المبرم الهائل .

وكثير من الناس الآن يتصور ان في اصلاح الحروف مساساً لشعائر الدين ولو علم ان الخط الذي نستعمله الآن هو من استنباط الوزير ابن مقلة في القرن الرابع الهجري وان خطي الرقعة والتعليق لم يشتقا الا بعد ذلك بزمان لزال عنه ذلك الوهم واصلاح ابن مقلة سبقته عدة اصلاحات على يد ابي الاسود الدؤلي وغيره ومن منا اليوم يستطيع ان يقرأ خطوط القرون التي سبقت ابن مقلة وخاصة ما كان منها في صدر الاسلام وعلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه سواء في ذلك القلم المشتق من النبطي او الكوفي ومع ان مطابعنا في الايام الاخيرة اخذت تستعمل الخط الكوفي احياناً ويستعمله بعض الصحافيين

والناشرين لعنوانات جرائدهم وكتبهم فلا نكاد نتهجؤه الا بصعوبة وامعان نظر والانقلاب الذي احدثه ابن مقلة لم يعده علماء ذلك الوقت خروجاً على الدين والتقاليد القومية وهم اغير عليها منا الآن بل سرعان ماانتشرت قاعدته وطبقت العالم العربي برغم قلة وسائل الانتشار في ذلك الزمن وما ذلك الا لان الناس كانوا في حاجة عظيمة الى الكتابة السهلة البسيطة لارتقاء الدولة وكثرة الاعمال في الخاصة والعامة وكأني بهم كانوا يشعرون بنقص كتابتهم القديمة كما نشعر نحن الآن ويعانون نفس ما نعانيه ونحن لا نحاول ان نترك حروفنا العزيزة والتي هي رمز من رموزنا القومية ومفخرة من مفاخرنا بجمالها الفني البديع ولكن هذا الجمال لايكفي في عصر يتطلب السرعة والاقتصاد وما علينا الا ان نعيد عملية ابن مقلة بالتحوير والترتيب لنجعلها ملائمة للطبعة والآلة الكاتبة ولنا ايضاً مطلق الحرية في استعمال حروفنا الحالية في المكاتبات والعنوانات · اما المطبعة فيجب ان تضاهي المطابع الاخرى لنتمكن من تجهيزها بآلات اللينوتيب والمونوتيب المنتجة المفيدة او على الاقل تخفيض عدد الامهات في المسبك العربي فانا مثلاً نجد ان المائة كيلو من الحروف اللاتينية تكفي لترتيب صفحات عديدة من الكتاب او الجريدة بينما هي لا تكاد تكفي لما يوازي ربع مقدارها من الحروف العربية ويمكن تلافي ذلك بما يأتي :—

(١) جعل الحروف ٢٨ حرفاً بسيطاً ونستغني عن بقية الحروف ·

(٢) ان يراعى تناسب الحروف في حجمها حتى نتمكن من سبكها على بنط ٩ و٦ بوضوح وفي ذلك من الاقتصاد ما فيه ·

(٣) نقش بعضها وسبكه بهيئة خاصة حتى يصلح لأوائل الكلمات كحروف الكابيتال اللاتينية وجعل الحروف التي من جسم واحد بعضها اسود وبعضها عادي للعنوانات والاعلام وما شاكلها مما هو مصطلح عليه في المطابع الافرنجية ·

واقرب الطرق الى تحقيق ذلك جعل الحروف مربعة الشكل ليسهل نقشها وتخفيفها وتدقيقها وجعل امتدادها افقياً لا عمودياً ليمكن سبكها على البنوط القليلة ومن المعلوم ان الحروف الحالية تتألف من متصلة اولى ووسطى واخيرة ، ومنفصلة فتكون لها اربعة اشكال فلنكتف منها بحروف اليمين وبعض الوسط الحالية ليمكن وصلها بعضها ببعض من يمينها ويسارها بعد ان تجعل لها علامات تسبك على حدة لتميزها في وضعياتها ويمكن فصلها بوضع

الحواجز من الاجسام القصيرة التي تفصل الكلمات عادةً . ويكون شكلها هكذا :

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و ي

فهذه (٣٨) حرفاً ومتى علمنا ان الجيم والخاء يقومان مقام العين والغين اذا قلبتا امكننا ان نقتصر على (٢٦) حرفاً ، اما العلامات المميزة فنكتفي بوضع شرطة أفقية محددة الرأس هكذا تضاف الى الباء والسين والصاد والفاء واللام والنون والياء وأخواتها في حالتي التطرف والانفراد كذا :

ب ت ث س ش ص ض ف ق ل ن ي

وشرطة أخرى عمودية يقف رأسها الاعلى لتتصل بالحروف الاخرى فتميزها في حالتي التطرف والانفراد كذا : ج ح خ ع غ م

وبذلك تكون حروف المطبعة كلها (٢٨) حرفاً بسيطة او (٣٠) على الأكثر ماعدا الأرقام والترقيمات على ان هناك أحوالاً اذا اصطلح عليها يمكن بواسطتها ان يقلل من عدد الحروف كالاصطلاح على إهمال بعض المعجمات والاستعاضة عنها بقلب أخواتها فالسين س تكون شيناً ش والباء تكون ت تاءً وهكذا فاذا أردنا ان نكتب اسم المجمع العلمي العربي بدمشق الشام كتبناه هكذا :

المجمع العلمي العربي بدمشق الشام

وهي لا تختلف عن الكتابة العادية كثيراً ومتى تعهدها الخطاطون الفنيون بالتطريز والتحسين وضبطوها بالاقيسة فلا شك انها تظهر بمظهر جميل للغاية وهذه كتابتنا لم تصل الى ما وصلت اليه الا في قرون عديدة .

هذا اذا أردنا مجاراة عواطفنا والمحافظة على تقاليدنا واصلاح حروفنا بحيث يحفظ اصلها وتبقى على ترتيبها المعمول به حتى يعم انتشارها بسهولة ويتعود على قراءتها بعد تمرن طفيف ولا تحتاج الى حكومة تنشرها بالمشانق ومحاكم الاستقلال في هذه الامة المتعددة الممالك والدول المتنازعة المختلفة والا فهنا طريقة أخرى ان استعملت فلن يبقى في الامة

العربية أمي واحد وهي وان كنا متى استعملناها نضيع بعض تقاليدنا الأدبية ولكنها تحفظ ايضاً بجزء منها · فمالنا وللحروف اللاتينية المركبة المعويصة وامامنا حروفنا البسيطة المألوفة منا أليس من الاصلح والانسب ان تكون الحروف تسعة فقط ! وعلاوة على ذلك فهي قابلة لان تكتب طرداً وعكساً اي من اليمين الى اليسار و بالعكس حسبما نريد ان نصطلح عليه · تسعة حروف ؟ نعم تسعة فكلنا يعرف حساب الجمل و يعرف قيمة الحروف الأبجدية وما علينا الا ان نستبدل الحروف بالارقام بعد تحوير طفيف في وضعية الاصفار وشكلها · ولكي تكون بسيطة سهلة وقابلة لان تحول حروفاً جميلة يجب ان نعمد الى شكلها فنجعله مربعاً وبذلك تكون متناسبة متراصة فنرسمها هكذا : ١٢٣٤٥٦٧٨٩

. : ؤ ؤ · لما هو عشرات و : للمئات و ⁝ للالف فتكون الألف ا والياء ١٠

والقاف :ا والغين ⁝ا والياء ٣· والكاف ٢· والراء ٢: والجيم ٣ واللام

٣· والشين ٣: وهكذا الى ان تكون النقط الثلاث للغين فقط ويمكن ان نجعلها حرفاً قائماً بذاته مصطلحاً عليه · اما الارقام فيمكن ان نستعملها من نفس الحروف اذا خصصنا لها صفراً مربعاً متوسط الوضعية (١) ولنميزها نحصرها بين قوسين او نضع لها علامة أخرى ويمكن ان نرسم اسم المجمع من اليمين الى اليسار هكذا :

[illegible] و بالعكس :

[illegible]

[illegible] (١٩٢٩) [illegible] سنة ١٩٢٩ ميلادية

سنة ١٣٤٨ هجرية [illegible] (١٣٤٨) [illegible]

تسعة حروف وثلاثة للنقط وكفى ، ومما لا ريب ان التلميذ الصغير والأمي الكبير في استطاعتهما ان يتعلما هذه الحروف في ظرف اسبوع واحد وفي شهر على الاكثر والستة اشهر كافية لتعلم ابلد البلداء ، وحينئذ يسهل اقتناء المطابع والآلات الكاتبة

و يكثر سواد القراء وتنتشر الجرائد والمطبوعات لرخص أثمانها وتعم العلوم والمعارف وترتقي المدارك . أقول هذا حسب اعتقادي ، وقد يكون سخيفاً مضحكاً ، وقد أكون مخطئاً من حيث لا أعلم ، والعصمة لله وحده .

(الدمام : القطيف خليج فارس) خالد بن محمد الفرج

مطبوعات حديثة

خطط الشام

— الجزء السادس —

« للسيد محمد كرد علي »

تناول الاستاذ المؤلف في هذا الجزء من كتابه الممتع هذه الموضوعات :

البيع والكنائس والديرة — المساجد والجوامع وفيهما ذكر للخلوات — المدارس — الخوانق والربط والزوايا وفيها ذكر لمراقد العظماء — المستشفيات والبيمارستانات — دور الآثار — دور الكتب — الاديان والمذاهب — العادات والاخلاق . وعقب على ذلك بفصل « استدراكات وتصويبات » اودعه بعض مافاته ذكره في الاجزاء السابقة ، وناقش فيه بعض من اخذوا عليه في بعض ما اخذوه عليه .

وهذا الجزء حافل بالفوائد القيمة مما لا نقع عليه الا في المعالم الكبرى بل مما لا نرى له حتى في هذه المعالم مثلاً . اذ المعالم الاجنبية لا تعنى بشؤوننا بما يشفي حاجة الطالب ، والعربية على قلتها لا نرى فيها في هذه المباحث الخاصة — ما نرى في هذا الكتاب من علم جم ، واحصاء عم ، مجموعاً مبوباً في فصول مستقلة .

فانت في هذا الكتاب تعرف معظم ما في بلدك من مؤسسات دينية وعلمانية وتعرف في كثير منها منشأها ومنشئها .

واذا شئت ان تستشهد على حضارتنا الغابرة بما انشأه آباؤنا الاولون من مستشفيات ومدارس، وجوامع وكنائس ، ودور للكتب وللآثار ، الى غير ذلك من مقومات الحضارة

ويكثر سواد القراء وتنتشر الجرائد والمطبوعات لرخص أثمانها وتعم العلوم والمعارف وترتقي المدارك . أقول هذا حسب اعتقادي ، وقد يكون سخيفاً مضحكاً ، وقد أكون مخطئاً من حيث لا أعلم ، والعصمة لله وحده .

(الدمام : القطيف خليج فارس) خالد بن محمد الفرج

مطبوعات حديثة

خطط الشام

— الجزء السادس —

« للسيد محمد كرد علي »

تناول الاستاذ المؤلف في هذا الجزء من كتابه الممتع هذه الموضوعات :

البيع والكنائس والديرة — المساجد والجوامع وفيهما ذكر للخلوات — المدارس — الخوانق والربط والزوايا وفيها ذكر لمراقد العظماء — المستشفيات والبيمارستانات — دور الآثار — دور الكتب — الاديان والمذاهب — العادات والاخلاق . وعقب على ذلك بفصل « استدراكات وتصويبات » اودعه بعض مافاته ذكره في الاجزاء السابقة ، وناقش فيه بعض من اخذوا عليه في بعض ما اخذوه عليه .

وهذا الجزء حافل بالفوائد القيمة مما لا نقع عليه الا في المعالم الكبرى بل مما لا نرى له حتى في هذه المعالم مثلاً . اذ المعالم الاجنبية لا تعنى بشؤوننا بما يشفي حاجة الطالب ، والعربية على قلتها لا نرى فيها في هذه المباحث الخاصة — ما نرى في هذا الكتاب من علم جم ، واحصاء ع ، مجموعاً مبوباً في فصول مستقلة .

فانت في هذا الكتاب تعرف معظم ما في بلدك من مؤسسات دينية وعلمانية وتعرف في كثير منها منشأها ومنشئها .

واذا شئت ان تستشهد على حضارتنا الغابرة بما انشأه آباؤنا الاولون من مستشفيات ومدارس، وجوامع وكنائس ، ودور للكتب وللآثار ، الى غير ذلك من مقومات الحضارة

والعمران ، رأيت المادة التي تريد مجموعة منسقة متسلسلة . وعمل مثل هذا لا يستطيعه الا رجل قضى ما قضاه الاستاذ من بحث ومطالعة وتقييد ومدارسة .

وتشهد في فصل « العادات والاخلاق » صوراً تمثل لك نفوس اصحابها واخلاقهم . وفي رأيي ، بل رأي كثير ممن مروا بهذا الفصل ان الاستاذ المؤلف في تصويره اخلاق هذه الفئة من الناس ، وفيها وصفه عامة الصحافة والقائمين بها ، قد ابدع بما ليس بعده غاية . فجاء هذا الفصل امير هذا الكتاب . وحبذا الاستاذ وهو يرد على من يرون « السكوت عن المعايب حتى لا يبدو عوارنا لغيرنا » .

« و كتمان العلة مدرجة الى الهلكة . والتاريخ لا يكتب على الهوى . ولا يملى لارضاء الناس . وما نخال منصفاً بصيراً الا ويعترف — وهو مثلنا جد آسف — ان ما اصاب هذه الديار من المصائب منذ عهد طويل لم يكن الا لسوء اخلاق من تولوا من ابنائها امرها . وان من المستحيل بعد ان صرح الحق من محضه ، ان تؤلف الشام كياناً يذكر وتقوم في ساحة الحضارة البشرية بعمل يشكر ولو اوتيت علم الجرمانيين واللاتينيين ، ورزقت غنى الانكليزالسكسونيين . مادامت اخلاق اهل الحل والعقد فيها لا تعالج بالتقويم . ولا يحاول القضاء على مواطن الضعف من نفوسهم وعقولهم . فالساكت عن الحق شيطان اخرس وصديقك من صدقك لا من صدقك .

فصلته لكن على عقلي فما مقياس عقلك كان لي معروفا

وهذا كلام حسن ، واحسن منه العمل به مع الكبير والصغير ، والحاكم والمحكوم ، ولا سيما في مصلحة البلاد .

على اننا نأخذ على الاستاذ — وهو الذي يأبى الا ان ندلي برأينا الصريح وننتقد ما نحسبه محلاً للنقد — اشياء منها :

١ — انه استعان في بعض فصول كتابه بنفر من الفضلاء كتبوا في امور حسبها من اختصاصهم ، فأثبت ما كتبوه على عجره وبجره ، وعلى بعده احياناً عن روح الموضوع . وليس يرد على ذلك ان ما كتب انما كتب باسم صاحبه فاذا كانت تبعة ما كتب على الكاتب ، فتبعة المؤلف في الانتخاب .

خذ لك مثلاً ما كتب في الاديان والمذاهب ، فلقد كتب احدهم عن اليهود كتابة

تنحصر في التزلف الى المسلمين، والتقرب منهم، واظهارهم مظهر الصديق الحميم . وليس من مثل هذا ، تعرف حقيقة اليهودية ولا سر دينهم .

وكتب احد القساوسة عن الارثوذكسية بعبارة بليغة شائقة ، غيرانه تجاوز في بعضها حد الاعتدال ، فرمى خصومه بمستهجن من القول وكان همه التشنيع عليهم في البحث عن سر الارثوذكسية .

وبحث احد الآباء اليسوعيين عن الكثلكة بحث العالم ، على ما في هذا البحث من فلتات تعصب لا يجيزها تاريخ مدني، وانتهى به البحث الى احصاء عجيب استوحاه من نزعات نفسه لا من سجلات النفوس الى غير ذلك من الشؤون التي « كتبت على الهوى وامليت لارضاء الناس » وهو ما نهى عنه الاستاذ في ما نقلناه عنه .

٢ — حبذا لو رجع المؤلف ايضاً في بعض عادات دمشق وحلب القديمة الى اصحاب السن العالية ممن شهدوا هذه العادات اوعرفوا شيئاً عنها كافعل السيد عبدالقادر القباني في ما كان كتبه عن عادات بيروت ، اذ ان اكثر ما جاء عن عادات هاتين المدينتين دمشق وحلب انما هو عن عادات اليوم لا العادات القديمة .

٣ — جاء في هذا الكتاب عبارات هي اقرب الى الترجمة او الى لغة دواوين الحكومة منها الى أسلوب الاستاذ السهل الممتنع . ووقع في ما كتبه بعضهم اغلاط في اللغة والاملاء كان حقاً على الاستاذ ان يصححها لان الكتاب بالجملة كتابه .

٤ — وددنا وجمهوراً من اصدقاء الاستاذ لو انه أسقط الفصل الاخير الذي ترجم فيه نفسه . فلقد ظهر من خلال السطور بل من السطور نفسها انه أراد امراً غير ترجمة نفسه وغير التاريخ .

هذا بعض ما بدا لنا . ونحن نشكر للاستاذ ان أحل كلماتنا السابقة في الاجزاء السابقة محل النظر ، فأورد شيئاً منها في فصل (الاستدراكات والتصويبات) وقد رد على بعضها رداً نترك امره للقارئ .

وها نحن نثني على الاستاذ الرئيس مرة سادسة، لما أسداه الى أمته من الخدمة الصادقة في وضعه لها هذا السفر الجليل .

من اعضاء المجمع العلمي
عارف النكدي

اتحاف اعلام الناس
« بجمال اخبار حاضرة مكناس »

تأليف مولاي عبد الرحمن بن زيدان طبع بالمطبعة الوطنية بالرباط
سنة ١٣٤٧ — ١٩٢٩ ص ٤٧٠ الجزء الاول

هذا كتاب صادر عن مدينة من مدائن العلم الاسلامي في الغرب الاقصى يسرّ له طلاب البحث · فقد ضم فيه مؤلفه الاستاذ بعض ماله علاقة بعمران هذه المدينة وتاريخها ورجالها فكان يجيد الوصف عندما يتخلى عن السجع ويضيع رونق الكلام اذا تشبث بالتسجيع وهو قليل · وتكثر الفوائد المنتقطة من تضاعيف صفحات هذه السفر فهو في الحقيقة تاريخ الغرب الاقصى السياسي والاجتماعي والادبي · وتاريخ الرجال هو تاريخ السياسة · وبهذا الكتاب عرفنا الحالة الاجتماعية والحركة الادبية في تلك البلاد العربية السحيقة · فالشكر للمؤلف الفاضل الذي نهج بكتابه نهجاً عصرياً في الجملة وحلاه برسوم بعض الرجال والاماكن والوثائق وقدمه الى مولاي السلطان محمد بن يوسف سلطان الغرب · وسيكون لهذا الكتاب الاثر النافع بعد اتمام طبعه من حيث معرفة من ظهروا من الرجال كما كان لكتاب الاستقصا للسلاوي في كشف احوال تلك البلاد السياسية ·

م · ك

الاعلام

« تأليف السيد خير الدين الزركلي الجزء الثالث طبع بالمطبعة العربية سنة »
« ١٣٤٧ — ١٩٢٩ وبه انتهى الكتاب فبلغت صفحاته كلها ١١٨٧ »

تكلمنا مرتين في فائدة هذا الكتاب ومسرعة متناول تراجم اشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين في الجاهلية والاسلام وذكرنا مبلغ عناية الاستاذ المؤلف بالتدقيق · وقد بدأ هذا الجزء بحرف الكاف وانتهى بالياء وفي تراجم بعض المشاهير اختصار زائد وترجم لبعضهم من المعاصرين تراجم مطولة في الجملة وان كانوا لا يعدون في باب الانتاج العلمي

الا على شيء من التجوز او التكلف . و يزين هذا السفر النافع كما قلنا في الجزءين الاولين المعارضة بين التاريخ الميلادي والهجري وشكل الاسماء المشكلة من الاعلام والاشارة الى المطبوع او المخطوط من كتب المؤلفين . وهو مكتوب بسلاسة عرفت عن الاديب المؤلف فجاء كتابه تحفة لا يستغني عنها باحث يريد الوصول من اسهل طريق الى الوقوف على احوال الرجال في الجملة . فالشكر الجزيل للمؤلف على هذه الخدمة العلمية وعساه يوفق الى اصدار « المستدرك » لتتم به الفائدة .

م . ك

اهداء مكتبة برمتها

سلَّم السيد ابو الخير الكزبري ادارة المجمع العلمي العربي مكتبة اخيه الاستاذ المرحوم الشيخ عبد الله الكزبري التي أوصى بها في حياته لدار الكتب الظاهرية وتبلغ (٤٠٠) مجلد وهي تشتمل على فنون متنوعة في التفسير والحديث واللغة والادب والتاريخ. منها مائة وخمسة عشر مجلداً مخطوطاً ومائتان وخمسة وثمانون مجلداً مطبوعاً ومن المخطوطات النفيسة خمسة عشر كتاباً منها ما هو محلى بالذهب والنقوش البديعة :

(١) جزء عم . بقلم حافظ عثمان الشهير محلى بالذهب وفواصل آياته بالذهب ايضاً كتب سنة ١٠٥٤ .

(٢) مصحف شريف . بقلم محمد صادق محلى بالذهب ونفيس الجلد كتب سنة ١٢٨٢

(٣) أنعام شريف . محلى بالذهب بقلم احمد المعروف بنائلي ومموّه جلده بالذهب كتب سنة ١٢٠٤ .

(٤) أنعام شريف ايضاً محلى بالذهب بقلم محمد سليم سنة ١٢٠٥ .

(٥) آيات الشفاء مذهبة ونفيسة الخط بقلم محمد كاتب السراي السلطاني .

(٦) الحزب الاعظم . محلى بالذهب وفيه نقوش بديعة جداً كلها بالذهب .

(٧) مصحف شريف . محلى بالذهب بقلم مصطفى المعروف بحافظ القرآن سنة ١١٦٩

(٨) النفحات العنبرية في وصف نعل خير البرية لاحمد بن محمد المقري صاحب